مصر وليبيا

فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م

تأليف

د. أحمد عبد الحليم دراز



مصر وليبيا

فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م

تأليف

د. أحمد عبد الحليم دراز



المقدمة:

يسرني ان أقدم للقارئ الكريم هذا الكتاب عن "مصر وليبيا بين القرنيين السابع والرابع قبل الميلاد". وهو في الأصل رسالة عليها حصل بها صاحبها الدكتور "احمد عبد الحليم دراز" على درجة الدكتوراه. ومن المعروف ان العلاقات المصرية الليبية علاقات قديمة أشارت إليها المصادر الفرعونية عندما كانت تتحدث عن الحملات التأديبية التي كان يقوم بها الجيش المصري ضد القبائل الليبية وعودها محملة بالأسرى والغنائم، ومحاولة القبائل الليبية النزوح إلى مصر على مدى التاريخ الفرعوني.

وقد بدأ الباحث دراسته بتناول الأوضاع في مصر وليبيا خلال عصر الانتقال الثالث، وتعرض للعلاقات بين مصر والأقوام الليبية مثل "التنحو" و"التمحو" و"الماشواش"، خصوصا في عهد رمسيس الثاني ورمسيس الثالث حتى بدأ الليبيون يلعبون دورا في التاريخ المصري باشتراكهم في الحرب ضد"مرنبتاح" ورمسيس الثالث، ثم يتسللون بعد ذلك إلى البلاد بعد اضطراب الأحوال في مصر بعد رمسيس الثالث، وما تبعه من إهمال الحدود الغربية، وتأسيسهم أسرا حاكمة داخل مصر.

وفي الفصل الثاني تناول الباحث الأسباب التي أدت إلى قيام الأسرة 26 وسياستها الداخلية في عهد بسماتيك، وتناول دوافع الاستعمار الإغريقي لليبيا، وأثره على العلاقات المصرية الليبية حتى الاحتلال الفارسي لمصر عام 525 قبل الميلاد.

أما الفصل الثالث فتناول فيه العلاقات المصرية الليبية في ظل الاحتلال الفارسي لمصر والسيطرة الإغريقية في ليبيا.

وفي الفصل الرابع. تعرض للمقاومة المصرية للاستعمار الفارسي، ودور الليبيين في هذه المقاومة. وتناول ثورات المصريين بعد موت قمبيز، وبعد هزيمة الفرس في ماراثون، وتعرض لخمس مراحل ثورية انتهت بتخلص المصريين من الاحتلال الفارسي الأول في حوالي سنة 404 قبل الميلاد، عندما أصبح قائد الثورة فرعونا لمصر ومؤسسا للأسرة الثامنة والعشرين.

أما الفصل الخامس فقد تناول فيه الباحث التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وليبيا.

والكتاب على هذا النحو يسد فراغا في تاريخ علاقات مصر وليبيا قبل الميلاد. وأملي ان يجد فيه القارئ المتخصص والمثقف العادي ما ينشده من فائدة ومتعة.

والله الموفق

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

الإهداء

إلى أستاذي الجليل

أ.د. جاب الله علي جاب الله

أستاذ تاريخ وآثار مصر والشرق الأدنى القديم

وأمين المجلس الأعلى للآثار

قائمة الاختصارات

A.E., = Ancient Egypt, A Social History, Cambridge 1984.

A.E.O. = Gardiner, A.H., Ancient Egyptian Onomastiga 2 vols, Oxford, 1927.

A.J.S.L. = American Journal of Semitic Languages and Literatures.

A.N.E.T = Pritchard J.,) ed.) Ancient Near Eastern Texts Relating To The Old Testament, Princeton 1969.

A.R.A.B. = Luckenbill, D.D., Ancient Records of Assyria and Babylonia, 1926 –1927.

A.E.A.E. = Annales du Service des Antiquites de L'Egypte.

B.A.R = Breasted, JH, Ancient Records of Egypt, 5 Vols, Chicago, 1906–1907.

B.F.A.O.= Bulletin de L'Institut Français d'archelogie Orientale.

C.A.H. = Cambridge Ancient History, (3rd ed.) 2 vols. 1980.

C.D.E. = Chronique d'Egypt.

Histo. Of the Pers. Emp. = Olmstead, A.T., History of the Persian Empire, 5th ed., Chicago, 1966.

J.E.A. = Journal of Egyptian Archaeology.

J.H.S = Journal of Hellenic Studies.

J.N.E.S. = Journal of Near Eastern Studies.

L.R. = Gauthier, H., Le Livre des Rois d'Egypte, 5 Tomes, 1907–1917.

M.D.A.I.K. = Mitteliungen des Deutschen Instituts Fur Agyptische Altertumskunde in Kairo augsbug–Berlin, 1930f.

M.I.F.A.O. = Memoires Publies Par les Membres de L'Institut Française d'Archeologie Orientale du Caire.

P.M. = Porter, B., and Moss, R., Topographical Bibliography of Ancient Egyptian Hieroglyphic Texts Reliefsand Paintings, 7 vols, Oxford, 1927–1957.

Third Intermediate = Kitchen, K.A., the Thisd intermediate Period in Egypt (1100–650 B.c) 2nd ed., Warminster, 1986.

Z.A.S., = Zeitschrift Fur Agyptische Sprache und Altertumskune.

مقدمـــــــــة

كان اختيار موضوع البحث من الأمور المهمة التي تشكل صعوبة كبيرة أمام الدارس في هذه المرحلة، وكان الموضوع دراسة الماجستير– والذي تناول العلاقة بين مصر وفلسطين فيما بين القرن الحادي عشر و القرن الثامن ق.م –اثر كبير في ان يفكر الدرس في السير على نفس الطريق، ورأى ان الأمم الواقعة شرقي مصر قد تناولتها دراسات عديدة، فكان لابد من الاتجاه غربا (ليبيا) وهنا تردد أستاذي كثيرا في الموافقة على هذا الاتجاه موضحا كم الصعوبات التي يمكن ان تعترض البحث خاصة في الفترة الزمنية من القرن السابع حتى الرابع قبل الميلاد، ومن أهم هذه الصعوبات قلة المصادر الأصلية الباقية عن تلك الحقبة من تاريخ مصر مع كثرة الاختلافات بين أراء علماء الآثار حول غالبية معلوماتها، ومنها أيضا ندرة المصادر الباقية عن تاريخ ليبيا القديم وذلك لقلة الدراسات لأثرية المنظمة بها حتى الآن وان وجدت بعض الدراسات فإنها تعتمد على المصادر المصرية أولا وأخيرا، وتوقفت هذه الدراسات عند نهاية الدولة الحديثة من تاريخ مصر حيث تكثر الإشارة إلى الليبيين في المصادر المصرية ومن

أهم هذه الدراسات

au Delta du principautes les « ,J ,Yoyotte

,66 ,.O.A.F.I.M ,« Libyenne anarchie‘L de temps

121–181 .PP ,1961

Gomaa, F., Die Libyschen Fürstentumer des Delta vom tod Osorkons II bis Zur wieerveienikung Agypten durch psametik I, Wiesbaden, 1974.

وهناك رسالة ماجستير من معهد الدراسات الإفريقية للدكتورة زينب عبد العال بعنوان «مصر وليبيا منذ أقدم العصور حتى نهاية الدولة الحديثة» ونوقشت الرسالة عام 1975.

من الواضح إذن ان علاقة مصر وليبيا في العصر المتأخر (موضوع البحث) لم تتناولها حسب معلوماتي المتواضعة أية دراسة علمية مفصلة، وان كان «رو» قد كتب بحثا بعنوان **A ,Rowe.,**
New light on .Cyrenaica Ancient of History A « Aegypto – Cyrenaean Relations Two Ptolemiaic Statues Found in Tolmeito », A.S.A.E, cah. 12, 1948, PP. 1–35

ورغم هذه الصعاب التي أوضحها لي أستاذي فانه كان لدي إيمان راسخ بوجود علاقة بين مصر وليبيا من انطلاقا انه إذا كانت هناك علاقة بين مصر وأقطار غربي أسيا على مدى التاريخ رغم بعد هذه الأقطار عن مصر بالمقارنة بليبيا، فلابد من وجود

علاقة (ربما تكون اكبر) بين قطرين متجاورين ومتعاصرين لجميع المراحل التاريخية منها وما قبل التاريخ، إلا ان الفوارق هنا ترجع للظروف التاريخية لأقطار غربي أسيا وتوصل مجتمعاتها لعصر الكتابة وامتلاك لغة للتدوين (الأمر الذي لم يتوافر للقطر الليبي إلا حديثا) جعل الباحثين يمتلكون كما هائلا من تفاصيل هذه العلاقة، حيث يتوافر لأي دارس هنا مصدران يستقي منهما معلوماته مصدر مصري ومصدر أجنبي (وهذا ما لا يتوافر في حالة العلاقات مع القطر الليبي) مما دفع معظم الدراسات التي تناولت علاقة مصر بغيرها من بلاد الشرق الأدنى القديم إلى جهة الشرق، وهذا في الوقت نفسه ما جعلهم لا ينظرون إلى الغرب (أي ليبيا)، وربما يرجع اهتمام الباحثين بالشرق أيضا إلى تأثير هذه الأقطار المباشر والواضح في تاريخ مصر، فمعظم محاولات غزو مصر (ان لم تكن كلها) جاءت من الشرق (الهكسوس ــ الاشورين ــ الفرس) وهنا يرى الدارس ان تأثير ليبيا ربما يكون أكثر من ذلك، فإذا كانت الشعوب الغازية لمصر من جهة الشرق قد أثرت في تاريخ مصر السياسي، فان ليبيا ربما كان لها تأثير حضاري واجتماعي .

كما وضع الدارس في اعتباره أيضا ان أية دراسة أو إشارة بسيطة للعلاقات المصرية الليبية كانت تعتمد في المقام الأول أو الأخير على المصادر المصرية، وبالتالي تتبنى وجهة النظر المصرية، وعلى سبيل المثال إشارات الفراعنة إلى حملاتهم التأديبية ضد القبائل الليبية والتي كانت دائما تعود بالغنائم الكثيرة من ماشية وغنائم وأعداد كبيرة من الأسرى، وكانت هذه المصادر تشير في نفس الوقت إلى ان محاولة القبائل الليبية دخول مصر كان سببه الفقر و الجدب.

ونلاحظ هنا تناقضا صارخا بين كثرة الغنائم من الماشية

والأغنام والأسرى وبين ما يقال عن فقر هذه المناطق وجدبها، حيث ان كثرة الماشية والأغنام والإنسان يدل على الها مناطق غنية بمراعيها القادرة على ان تؤوى هذه الأعداد الكبيرة من الحيوانات والبشر، ومعنى غنى هذه المناطق فان محاولة القبائل الليبية النزوح إلى مصر على مدى التاريخ الفرعوني لم يكن سببه الجوع بل ربما كانت هناك أسباب أخرى. وعلى ذلك كان لابد من دراسة تتناول علاقة مصر وليبيا اخدة في الاعتبار وجهتي نظر البلدين، وانعكاس أوضعهما الداخلية على علاقة كل منهما بالأخر وكان هذا هو الخط الرئيسي والأساس في الرسالة، وقد استتبع ذلك إعادة النظر في بعض النصوص المصرية وإعادة تحليلها، وأيضا محاولة الاعتماد على بعض المصادر الليبية على قلتها، والقيام بوصف وتحليل هذه المصادر ومقارنتها بالمصادر لاستخلاص بعض النتائج والتي ربما تحمل وجهة نظر جديدة.

وقد جاءت الدراسة في خمسة فصول مرتبة ترتيبا زمنيا على النحو التالي:

الفصل الأول: مقدمة، مصر وليبيا خلال عصر الانتقال الثالث.

الفصل الثاني: مصر وليبيا في عصر الأسرة السادسة والعشرين.

الفصل الثالث: مصر وليبيا في عصر الاحتلال الفارسي (252–404 ق.م).

الفصل الرابع: الليبيون وتحرير مصر من الاحتلال الفارسي.

الفصل الخامس: التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وليبيا.

تناول الدارس في الفصل الأول الأوضاع في مصر وليبيا

خلال عصر الانتقال الثالث فتعرض لأحوال البلدين الداخلية وانعكاسها على العلاقات الخارجية، فتناول حالة مصر الاقتصادية والاجتماعية وما آلت إليه من الهيار وأسباب ذلك وانعكاسها على حالتها السياسية مما أدى إلى ضياع سلطة الفرعون وازدياد نفوذ الكهنة وتأثير هذه الأحوال على سياسة مصر الخارجية.

أما ليبيا فقد تناول الدارس جغرافيتها السياسية. موضحا أهم القبائل التي كانت تستوطنها، متتبعا تاريخ كل قبيلة ومناطق نفوذها ومحاولة كل منها توسيع مناطق نفوذها على حساب الأخرى، ومحاولاتهم المتكررة لدخول مصر.

واختتم الفصل بتناول العلاقات بين مصر وليبيا في ظل الهجمة الأوربية المتمثلة في شعوب البحر ونجاح «مرنبتاح» و»رمسيس» الثالث في وقف تقدمهم صوب مصر وان سمح الأخير لبعض قبائلهم بالاستقرار في بقاع من مصر، كما نجحت بعض القبائل الليبية في التسلل السلمي والاستقرار بمصر وساعد انحطاط السلطة المركزية في مصر، هؤلاء الليبيين على تأسيس اسر حاكمة داخل مصر، وقد لعب العنصر الليبي دورا قياديا في مصر منذ نهاية عهد رمسيس الثالث حتى قيام الأسرة السادسة والعشرين، وهو ما يعرف بعصر الانتقال الثالث.

في الفصل الثاني: عالج الدارس ظروف قيام الأسرة السادسة والعشرين، والأساليب والوسائل التي اتبعها بسماتيك الأول لجمع السلطة في يديه ثم طرد الحاميات الآشورية وإعلان استقلال مصر، وأيضا سياسة ملوك الأسرة السادسة والعشرين الداخلية ومشاريعهم المختلفة في الداخل والخارج.

أما في ليبيا فقد استعرض الدارس دوافع الاستعمار الإغريقي بصفة عامة ثم محاولة معرفة توافر هذه الدوافع في ليبيا، وعلى اثر ذلك أسس الإغريق مدينة «قوريني» وقامت مملكة الباطيين في ليبيا الشرقية، وكان لقيام مملكة قوريني اثر كبير في علاقة مصر وليبيا في هذه الفترة، حيث كان لمحاولة الإغريق الحصول على مزيد من أراضي الليبيين اثر سئ في وقوع الصدام بين الفريقين مما دفع القبائل الليبية إلى طلب المساعدة المصرية، وكان ذلك في عهد الملك «أبريس» الذي أرسل جيشا لنجدة القبائل الليبية، إلا ان الليبيين وحلفائهم المصريين هزموا في معركة «ايرازا»، وكان لهذه الهزيمة الأثر الأكبر على أحوال مصر الداخلية حيث قامت ثورة ضد أبريس انتهت باعتلاء «امازيس» العرش والذي وجد في عقد المعاهدات السلمية خير وسيلة للحفاظ على استقلال مصر خاصة مع علمه باستعداد الفرس للانقضاض عليها، وظل الحال على ما هو عليه حتى الاحتلال الفارسي لمصر عام 525 ق.م.

في الفصل الثالث: يناقش الدارس علاقة مصر وليبيا في ظل السيطرة الأجنبية حيث تناول الاحتلال الفارسي لمصر، وألقى الضوء على أحوال مصر الداخلية السيئة والتي ساعدت الفرس على احتلالها، وموقف «قوريني» من هذا الاحتلال، ثم تناول الدارس السياسة التي انتهجها ملوك الفرس في مصر ومحاولاتهم التقرب للمصريين لدرء ثوراتهم التي نشبت بمجرد دخول الفرس إلى مصر.

أما ليبيا، فقد تناول الدارس أحوالها الداخلية مشيرا إلى الحالة الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على الاستعمار الإغريقي في قورينائية وانعكاس هذه الأوضاع على الحالة السياسية، فكانت الحرب الأهلية بين «اركسيلاوس» الثالث وارستقراطية قوريني، ودور مصر في هذه

الحرب واستنجاد «فرينيمي» والدة «اركسيلاوس» ب»ارياندس» والى مصر الفارسي للانتقام من قتلة ابنها، ثم قام الدارس بمناقشة حملة «ارياندس» تاريخها وأسبابها ونتائجها، مفندا بعض الآراء ومؤيدا بعضها الآخر معتمدا على الأدلة الأثرية.

أما الفصل الرابع: فيتناول المقاومة المصرية للاستعمار الفارسي حتى الاستقلال ودور الليبيين في هذه المقاومة، ويتحدث هذا الفصل عن الثورة المصريين في مراحل عدة، فقد نشطت المرحلة الفعلية الأولى من ثورة المصريين ضد الاحتلال الفارسي بعد موت «قمبيز» ومع تولى «دارا» الأول سنة 522 ق.م، ويذكر «درا» في نصوصه انه قضى عليها، أما المرحلة الثورية الثانية فكانت حوالي 486 ق.م. بعد هزيمة الفرس في «ماراثوان» وقد مات «دارا» قبل قمعها، فقام ولده وخليفته»اكزركسيس» بإطلاق يد أخيه «اخمينس» بن دارا في مصر، وكان شديد القسوة عنيفا في إخماد ثورة المصريين سنة 484 ق.م. وقد أثير جدل كبير حول قائد هذا الثورة وحول هويته.

أما المرحلة الثالثة للثورة فكانت حوالي 460 ق.م في عهد الملك «ارتكزركسيس» وكانت ثورة منظمة يقوها «ايناروس» ويساعده «أمير تايوس» وكانت نتيجة تلك الثورة ايجابية، فقد قتل «اخمينس» وهربت الحامية الفارسية إلى منف، وقد دعم العون الخارجي من بلاد الإغريق، الثورة المصرية، ولم يتمكن «ارتكزركسيس» من استعادة سلطانه في مصر إلا بعد حوالي عام ونصف العام، وبعد جهد استطاع قائده «مجبازوس» بجيشه الضخم القضاء على الثورة ومطاردة الإغريق وحصارهم في إحدى جزر الدلتا واسر قائد الثورة ايناروس واقتيد إلى حاضرة الفرس حيث اعدم بأمر الملك.

وبدأت المرحلة بتسلم «أمون ارديسو» الأول أمير سايس الراية من زعيمه «ايناروس» واستطاع ان يحافظ على استقلال إمارته لعدة سنوات، وحاول ان يحصل على المعونة العسكرية الأثينية في مقابل الغلال المصرية، ولكن معاهدة «كاليس» سنة 449 ق.م بين الفرس وأثينا قضت على أمله في ذلك لان أثينا تعهدت في تلك الاتفاقية بعدم تقديم أي عون لمصر ضد فارس.

وتبدأ المرحلة الخامسة مع نهاية عهد «دارا» الثاني واستطاع الشعب المصري تحت قيادة زعيمه «أمون ارديسو» الثاني ان ينتزع حريته، وبذلك تخلصت مصر من الاحتلال الفارسي الأول في حوالي 404 ق.م حيث أصبح قائد الثورة فرعونا لمصر ومؤسسا للأسرة الثامنة والعشرين التي اقتصرت عليه وحده.

ويشير الدارس في نهاية الفصل إلى الأصول الليبية لأسرات العصر المتأخر محاولا إثبات ذلك عن طريق الأدلة الأثرية والاستنتاجية.

أما الفصل الخامس والأخير فيتناول التأثيرات الحضارية المتبادلة بين مصر وليبيا، ويعقد الدارس في هذا الفصل المقارنة تلو الأخرى بين العناصر الفنية في كل من مصر وليبيا مع ذكر أمثلة فنية مازالت باقية حتى الآن وصولا إلى مدى التأثير الفني والحضاري بين ومصر وليبيا.

الفصل الأول

مصر وليبيا

خلال عصر الانتقال الثالث

أولا- مصر:

(أ) الأحوال الداخلية:

1- الحالة الاقتصادية والاجتماعية

2- الحالة السياسية.

ثانيا- ليبيا:

(ب) الأحوال الداخلية

1- جغرافية ليبيا السياسية. التحنو-التمحو-الماشواش-الليبو.

2- الحالة الاقتصادية.

ثالثا- مصر وليبيا وشعوب البحر:

أولا– مصر:

(أ) الأحوال الداخلية:

1– الحالة الاقتصادية والاجتماعية:

تهورت أحوال مصر الاقتصادية خلال عصر الانتقال الثالث، وسارت من سئ إلى أسوأ، وكان وراء ذلك العديد من العوامل الداخلية والخارجية، منها الحروب المتكررة التي خاضتها مصر في الشرق والغرب ضد شعوب البحر من ناحية وضد عناصر الماشواش والليبو في مصر من ناحية أخرى، وما نتج عن ذلك من إنهاك للاقتصاد المصري، واستقرار بعض العناصر الأجنبية في مصر وأمكن لبعضها ان يرتقي عرش مصر كما حدث للأسرة الثانية والعشرين الليبية الأصل.

وفضلا عن ذلك فقد كان للهبات التي أغدقها فراعنة هذه الفترة على معابد الإلهة المختلفة، بالإضافة إلى انعاماتهم على نفر من الأمراء القدامى بإقطاعيات كبيرة لضمان ولائهم، كان لهذا كله أسوا الأثر على الأحوال مصر الاقتصادية، فتذكر بردية "هاريس" ان دخل هذه المعابد وحدها بلغ في عهد "رمسيس" الثالث ما يعادل 62 كيلو جراما من الذهب، 1189 كيلو جراما من الفضة و 2855 كيلو جراما من النحاس، وان مراعيه كانت تؤي 42362 رأسا من الماشية الكبيرة والصغيرة، أهدى منها "رمسيس" الثالث 28337 رأسا دفعة واحدة، كما بلغ خل معابد مصر حينذاك نحو مائة ألف مكيال من الغلال، واستأثرت بخيرات 169 مدينة وقوية في مصر وخارجها، وامتلكت أكثر من 88 سفينة ونحو 50 ترسانة لصناعة

السفن وإصلاحها، وتراوحت مساحة مزارعها بين 12 و15% من أراضي مصر الزراعية.[1]

علاوة على كل هذا كانت هذه المعابد لا تؤدي ما هو مفروض عليها من الضرائب، وذلك لتولي عائلات كبار الكهنة للوظائف المهمة في الدولة.[2]

وقد زاد فراعنة هذه الفترة من حدة الأزمة الاقتصادية التي كانت تعاني منها مصر وذلك عندما أسرفوا في إقامة المنشأت المعمارية، فحفروا مقابر ضخمة على غرار من سبقوهم في العصور الزاهية.[3]

1– عــن ترجمة بردية هاريس انظر B.A.R. IV 151. ff ويلســون: الحضارة المصرية، ترجمة أحمد فخري، القاهرة، 1955، ص 429.
الآن جاردنر: مصر الفراعنة، ترجمة نجيب ميخائيل، القاهرة، 1973، ص.322.
Faulkner R.O, « Egypt From the Inception of the Nneteeth Dyansty the Death of Ramesses III » C.A. H3, 2A. 1980, P. 245. Cerny, J, "Egypt From the Death of Ramesses IIII o he End of the Twenty–First Dyansty" C.A.H, 2B, P 626

2– من الأمثلة التي نوضح ســيطرة عائلات كبار الكهنة على الوظائف المهمة، انه في عهد "رمسيس" الخامس كان "رمسيس نخت" كبيرا لكهنة أمون في الوقت الذي كان أبوه "مرى بارســت" رئيســا لمأموري الضرائب بينما تولى اثنان من أبنائه وظيفتين من أهم الوظائف في البلاد، فكان ابنه "نســي أمون" كبيرا لكهنة أمون من بعده، وابنه "وسر ماعت رع نخت" كبيرا لمأموري الضرائب والمشرف على ارض الملك.
.. Kitchen, K.A., Third Intermediate in Egypt, P. 46
انظر

3– هناك نص من العام الثالث للملك "رمســيس" الخامس في وادي الحمامات يســجل استحضار حجر ماخر من محجره المشهور، وهذا أمر طبيعي، ولكن إذا علمنا ان عد المكلفين بهذا العمل بلغ ثمانية آلاف عامل اتضح لنا ضخامة العمل

ومن العوامل الرئيسية التي أثرت على أحوال مصر الاقتصادية انها فقدت إمبراطوريتها في أسيا مما دفع الفراعنة إلى اغتصاب مباني الآخرين لإقامة منشأهم المعمارية، فإذا قلنا ان اغتصاب مباني الآخرين عادة مصرية لم يخترعها ملوك هذه الفترة لكان ذلك صحيحا، لكن الصحيح أيضا ان الاغتصاب السابق لم يكن بهذا القدر الهائل، فضلا عن ان أصحابه قد أقاموا عمائر تعال أضعاف ما اغتصبوه عدة مرات، بعكس ملوك هذه الفترة الذين اعتمدوا في المقام الأول على الاغتصاب، وان ما أقاموه لم يكن أكثر من عملية تخريب وتحطيم لآثار الملوك السابقين، فإذا عجزوا عن هدم بعض المعابد الضخمة اكتفوا بمحو أسماء أصحابها من الفراعين ووضع أسمائهم عليها.[4]

ترتب على تردي الأوضاع الاقتصادية ان استمر التفاوت بين طبقات المجتمع في مستويات المعيشة مما أدى إلى اضطراب أحوال مصر الاجتماعية، أضف إلى ذلك استقرار العناصر الأجنبية في مصر

الذي قطعت الأحجار من اجله انظر جاردنر: مصر الفراعنة، ص. 325.

4– فعل ذلك «وسركون» الثاني في بوياسطة عندما محا اسم الفرعون «رمسيس» الثاني من كل أجزاء معبده وأهداه إلى الإلهة «باست» بعد ان قام بتغيير أسماء المعبودات الأصلية التي كرس المعبد لها في الأصل، بل ان قبر «وسركون» الثاني نفسه إنما سرقت أحجاره من آثار ترجع إلى أيام الدولة القديمة والوسطى والحديثة، وقد غالى شاشانق الثالث في ذلك كثيرا حيث قام بوابته الهائلة التي أقامها في تانيس من عمائر يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين الدولة القديمة والأسرة الحادية والعشرين والأمر كذلك بالنسبة لمقابرهم.
ويلسون: الحضارة المصرية، ص. 435.
Kithen, Third Intermediate, P. 319.

ووصولها إلى أرقى المناصب في الدولة، ويمكن القول أم زيادة عدد الأجانب في القصور الفرعونية كان من العوامل التي أثرت في أحوال مصر الاجتماعية، حيث زاد الزواج من أجنبيات، وازدادت أعداد الجواري، واحتوت القصور إلى جانب الجواري على أعداد من الحشم عملوا خدما وسقاة ووصفاء حتى تسللوا إلى مخدع الفرعون ذاته.[5]

فإذا كانت الحالة على نحو ما مر بنا فلا غرابة إذا رأينا حالة الحكومة مضطربة ومزعزعة ووجد الموظفون ما يغريهم على العمل لحسابهم الشخصي بدلا من ان يعملوا لمصلحة الدولة، فكان أكثرهم طموحا يعرف كيف ينتزع بوضع اليد بعض ممتلكات أمون التي كانت قد اتسعت، كما ان فرق الجند المرتزقة كانت دائما على استعداد لان تشن الغارات وتكون أداة للشغب والتمرد بينما فعلت المؤامرات السياسية فعلها في تخريب الخدمات العامة، فتهورت المحاصيل الزراعية وكثرة المجاعات وانساق صغار القوم وراء كبارهم في أعمال السلب والنهب[6] وقد أدت هذه الأحوال الاقتصادية والاجتماعية وما آلت إليه من سوء إلى اضطراب أحوال مصر السياسية وتفتت وحتها خلال عصر الانتقال الثالث.

5– Kitchen K.A., “ On the Princedomes of Late Libya” C.D.E. 52, 1977, PP.40–48
Trigger, B.G et ot, Ancient Egypt, A Social History, Cambridge, 1984, PP. 309–310
عب العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم جـ 1، مصر والعراق، ط 3، القاهرة، 1983، ص43.

6– بويوت: مصر الفراعنة، ترجمة زهران، القاهرة 1966، ص. 14.

2- الحالة السياسية:

كما سبق القول فان تدهور الحالة الاقتصادية والاجتماعية أدى إلى ضياع هيبة الفرعون وازدياد نفوذ الكهنة خاصة كهنة الإله "أمون" وتفشي الفساد والرشوة داخل الجهاز الحكومي، وارتداء رجال الجيش للثياب الكهنوتية للوصول لأهدافهم السياسية، ثم انتحال الألقاب الفرعونية حتى أصبحوا يكونون دولة داخل الدولة، فكانت الانقسام والتفتت أمرا طبيعيا ونتيجة حتمية لما مرت به مصر خلال هذا العصر، وأصبحت السلطة موزعة بين كبير كهنة أمون في الجنوب وفرعون في الشمال، وقد حاول فراعنة مصر في هذه الفترة استعادة وحدة البلاد بوسائل مختلفة منها تعيين بعض أفراد البيت المالك على رأس الإدارات في كهانة أمون في طيبة، منها أيضا الزواج من الأسرة الكهنوتية الطيبية، إلا ان هذه السياسة بلا من ان تعم وحدة البلاد كانت من عوامل تفتها حيث تمخض عنها تياران متعارضان، الأول رغبة الفرعون الجالس على العرش في تسليم المراكز والمناصب العليا في الدولة لرجال ينحدرون من سلالته مباشرة، أما الاتجاه الثاني فهو موقف الأحزاب التي سيسلب حقها في وراثة هذه المناصب خاصة منصب "كبير كهنة أمون" نتيجة تغير الفرعون الحاكم وكان لابد من الصدام بين هذين التيارين وما كان يترتب عليه أحيانا من منازعات داخلية، ومنذ ذلك الوقت تركت البلاد في أيدي رؤساء محليين من الذين لا يعيشون إلا على الدس والتآمر، وانتهى الأمر بان استقل معظم هؤلاء الأمراء بالمدن الرئيسية في مصر الوسطى والعليا (هيراقليوبولس-هرموبولس-طيبة) وأصبحوا يشيرون إلى أنفسهم وكأنهم ملوك مستقلون، وانتحل بعضهم الألقاب الفرعونية وكتب اسمه داخل خرطوش، ولتوضيح ذلك يمكن القول ان هيراقليوبولس

أصبحت عاصمة لمملكة يحكمها "بف ثاو عوى باست" ولعله كان من نسل الأسرة الثالثة والعشرين، كابن للملك "رود أمون"، وكان الإقليم العشرون بمصر العليا على وجه التحديد نواة لهذه المملكة، وقد امتدت لتشمل الإقليمين الحادي والعشرين شمالا والتاسع عشر جنوبا من أقاليم مصر العليا[7] وقد حمل حاكم المملكة اسم العرش "نفر كارع" كما يتضح من خلال نقوش تمثال ذهبي للإله "حرى شف"[8] كما تظهر لوحة النصر الكوشية اسمه داخل خرطوش[9] وكانت زوجته تلقب بالملكة "تاشرت ان است"[10].

أما هرموبولس فقد أصبحت أيضا عاصمة لمملكة متسعة يحكمها ملك هو "نمرت" الرابع ولعله كان ابنا للملك "وسركون" الثالث الذي وضعه في حكم هذه المدينة من قبل، وقد امتدت هذه المملكة لتشمل الإقليم الثامن عشر من مصر العليا.[11]

أما طيبة فقد أصبحت الزوجة الإلهية لآمون "شب ان وبت" الأولى تهيمن على مقادير الأمور بعد ان حجبت بمركزها أهمية مركز الكاهن الأول الذي لم يسمع عنه في هذه الفترة، فضلا عن احتفاظها بكافة حقوقها الرسمية التقليدية بوضع اسمها داخل خرطوش، ليس

7 – Grimal, N., « La Stéle Triamphale de Pi (ankh).
y au Musèe du Carie. J.E., 48862 et 47086–47089 M.I.F.A.O., 105, 1981, P. 215.

8 – Petrie, W.F., A History of Egypt, Vol III London, 1905, PP. 270–271.

9 – Grimal, Op. Cit., pI. VIII, L. 70

10 – Daressy, G., "Fragments Haracleoplitains" A.S.A.E.; 21; 1921, PP. 138–139.

- Grimal, Op. Cit., P. 216; notes 632–634 11

فقط لأنها ملكة، ولكنها كمصدر السلطة باعتبارها زوجة اله.[12]

أما في الدلتا فكما يتضح من لوحة النصر الكوشية فان الأحوال بلغت ذروة التفتت السياسي أبان تلك الفترة حوالي (730ق.م) ففي "منف" ظل حكامها رؤساء "ألما" وكهنة بتاح العظام يتوارثون حكمها، أما شرق ووسط الدلتا، فقد أشارت نفس اللوحة إلى وجود ملكين "وسر كون" الرابع في تانيس و"ايوبوت" الثاني في تل المقدام، وهو آخر ملوك الأسرة الثالثة والعشرين، ومن المحتمل انه ظهرت لأول مرة إمارة لرؤساء "ألما" جنوب شرق الدلتا في "بر-جرر" (دار الضفدعة) والتي من المحتمل ان يكون موقعها عن الأطراف الشمالية لخليج السويس، كما ظهرت إمارة أخرى "للما" في "بر-سبد" (صفط الحنة).[13]

وفي شمال ووسط الدلتا ظلت "منديس" (تل الرابع وتل تمي الامديد)[14] إمارة "للما" حيث اخذ حكمها يتوارثونها ابنا عن أب منذ أيام "شاشنق" الثالث كما ظهرت إمارة مستقلة في "ثب-نتر" (سمنود حاليا) وامتدت لتشمل "بر_حبيت" (بهبيت الحجارة) و"سما-بحدت" (تل البلامون مركز شربين).[15]

وأخيرا تكونت في وسط الدلتا إمارة لرؤساء "ألما" حكمها "شاشانق" في "بر-أوزير" (أبو صيربن)، أم غرب الدلتا فق كان "تف-نخت" حاكم سايس يحمل لقب "الرئيس العظيم للغرب"

12- يويوت: مصر الفرعونية ص 166-168.

13 - Montet, P., Geographie de L'Egypte ancienne, I; Paris, 10557, PP. 206-208.

14 - Gardiner, A.E.O., 2, 151*

15- Gardiner, A.E.O. 1, 180*, 195*, 1197*

ومدير إدارات مصر السفلى، وملك الأقاليم الغربية، إلى جانب الألقاب الدينية مثل "كاهن نيت" و"واجت" و"سيد العامو"، وغيرها من الألقاب التي نعكس حكمه في سايس حتى "بوتو" شمالا، وكوم الحصن في الجنوب الغربي، وهكذا سيطر "تف نخت" على النصف الغربي من الدلتا.[16]

مما سبق يتضح تفتت خريطة مصر السياسية بين الجنوب والشمال، واخل هذين الإقليمين الجغرافيين في عصر الانتقال الثالث.

ثانيا- ليبيا:

(أ) الأحوال الداخلية:

1- جغرافية ليبيا السياسية:

مازالت الأرض الليبية صامتة تماما فيما يختص بتاريخ ليبيا فقبل استعمار الإغريق لبرقة، مما جعل البعض يرجح خلو هذه الأرض من الوثائق[17] ولذلك فانه ليس أمام أي باحث في التاريخ الليبي

16- Yoyotte, J., "Notes et documents pour servri a L'Histoire de Tanis, Kemi. 21 , 1971, PP. 35-52.

وقد تنـــاول الدارس أحوال مصر الداخلية خلال عصر الانتقال الثالث بتفضيل كامل في رسالته للماجستر انظر.

احمد دراز: مصر وفلســـطين فيما بين القرني الحادي عشر والثامن ق.م.، رسالة ماجستر غير منشورة، كلية الآداب جامعة الزقازيق، 1991.

17- Carter. T.H., In Expedition, The Bulletin of the University Museum of the University of Pennsylvanian., Spring. 1963, Vol. 3, PP. 18.ff.

إلا الاعتماد على المصادر والوثائق التي قدمها المصريون بتسجيل أخبارهم وأخبار جيرانهم منذ ان بدأوا تسجيل الأخبار في فترة قبيل الأسرات وقد بذلوا الجهد في تصوير الملامح والتقاطيع والأزياء والأخبار الحربية الخاصة وزودنا بأسماء القبائل التي كانت تعيش هنا وهناك ومن بينها الليبيون، ورغم ان هذه المصادر مليئة بالفجوات والثغرات مما يدعو إلى التساؤل والاستفهام حيث انها لم تهف في المقام الأول إلى تسجيل جوانب غيرها من الشعوب المجاورة وإنما جاء ذلك متضمنا تسجيلها لجوانب الحياة المصرية، وفي هذا الصدد يقول "باتس" ان تاريخ الليبيين الشرقيين قبل هيردوت يجب إلا يدعى تاريخا بالمعنى المفهوم، إذ لم تصور لنا الوثائق سوى نزاعهم مع شعوب أقوى وأكثر تحضرا، كما ان هذه الوثائق هي في الواقع تقارير حربية سجلها الجانب الآخر[18] ومع ذلك فليس أمام الدارس للتاريخ الليبي في هذه الفترة إلا ان يجهد نفسه قدر الطاقة محاولا ان يستخلص من هذه المصادر ما أمكنه، وان يعطي صورة عن الليبيين آنذاك يملأ بها الفراغ الذي خلفه عدم العثور على نحت أو نقش أو تصوير أو صناعات من أي نوع يعطي صورة لما وجد في هذه الوثائق، وكانت النتيجة مناقشات طويلة واستنتاجات ومقارنات وسردا لتعدد الآراء ونتائج غير مؤكدة إلا في القليل النادر.

الحقيقة ان الشواهد الأثرية التي ترجع إلى فترة قبيل الأسرات تعتبر أول المصادر المصرية التي تشير إلى الليبيين، وما يمكن ملاحظته ان هذه المصادر جميعها ما هي إلا مناظر عامة لا تصحبها نصوص حيث ان الكتابة المصرية لم تكن ق اكتملت بعد، أما الملاحظة الثانية فهي ان الاتجاه العالم في هذه المصادر جميعها عبارة عن مناظر حربية

18- Bates, O., The Eastern Libyans, London. 1914. P 210.

تشير إلى معارك بين فريقين، فريق اتخذ هيئة المصريين وفريق آخر اتخذ صفات الليبيين الذين صورهم المصريون على آثارهم في العصور التاريخية، وأول هذه المصادر هو "مقبض سكين جبل العركى"[19] الذي صور على احد وجهي مقبضها معركة جرت على البر وفي الماء بين فريق اتخذ هيئة العامة للمصريين، أما الفريق الآخر فيظهر وقد انسدلت جديلة من الشعر على جانب الرأس والصدغ لكل فردمن أفراده، مما يقربهم من هيئة الليبيين، إلا ان الفريقين قد ظهرا بقراب يستر العورة. أما معركة الماء فقد صور الفنان ثلاثة مراكب على الطراز المصري، ثم صور مركبين على طراز آخر مختلف ارتفعت فيه مقدمة المركب ومؤخرها ارتفاعا كبيرا، ويفترض عبد العزيز صالح ان المركبين الغريبين من مراكب السواحل المصرية الشمالية الغربية القريبة من الحدود الليبية، خاصة ان احد الفريقين المتقابلين على البر تغلب عليه الهيئة الليبية أسلفنا، بالإضافة إلى وجود صورة لمراكب تشبه هذا الوصف على لوحة القربان التي عثر عليها "لوت" في تاسيلي.[20]

19- وجد هذا الأثر في منطقة جبل العركي تجاه نجع حمادي فسميت اصطلاحا باسمه انظر

Petrie, F.W., The Making of Egypt London, 1939., Frankfort, H., Studies in Early pottery of Near East, London, 1024.

Childe, V.G., New light on the Most Ancient East, London, 1958

الدريد: الحضارة المصرية، من عصور ما قبل التاريخ حتى نهاية الدولة القيمة، ترجمة مختار السويفي، ط2، القاهرة، 1992، ص 69.

20- عبد العزيز صالح: حضارة مصر القيمة وأثرها، القاهرة، 1980، ص 187-189.

هنري لوت: لوحات تاسيلي، ترجمة زكي حسن، طرابلس، 1968، ص 212.

فإذا انتقلنا إلى لوحة صيد الأسود[21] فان ما يهمنا منها أشكال الصيادين، فهم ملتحون تمام مثل الأعداء المهزومين على لوحة "نعرمر" المشهورة ويحملون الريش في شعورهم ويرتدون كيس العورة ولهم ذيول تتدلى من قمصانهم القصيرة، هذه الذيول التي أصبحت عنصرا مميزا لملابس الفراعنة أنفسهم فيما بعد وطيلة التاريخ المصري القديم ولا نراه في العصور التاريخية على غير ملوك الفراعنة إلا متدليا من ملابس الزعماء الليبيين المصورين على جدار يؤدي إلى معبد هرم الملك "سا حو رع" من ملوك الأسرة الخامسة، هؤلاء الزعماء الليبيون أنفسهم يلبسون كيس العورة ولهم خصلة شعر تقف منتصبة فوق جباههم، الأمر الذي يذكرنا بالصل على جبين الفرعون.[22]

وثمة لوحات طقسية أخرى بها أشارات عابرة لعل خير ما يمثله صلاية الفحل التي يظهر فيها الملك في شكل ثور قوي يهزم العدو، ويعلق عليها جاردنر بقوله ان الهدف من تلك اللوحة واضح، فهي تمثل انتصار زعيم من مصر العليا على مصريين من الدلتا أو أعداء ليبيين.[23]

21- عثر عليها في هيراكونبوليس، الجزء العلوي منها محفوظ بمتحف اللوفر، أما الجزء السفلي فمحفوظ بالمتحف البريطاني.

الدريد: المرجع السابق، ص 94 وانظر أيضا

P.M. V, 104, N. 3, Child, Op. Cit, P. 80 f.

Kees, H., Ancient Egypt, a cultural Topography, London, 1961, P. 40.

عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 192-191.

22- جاردنر: مصر الفراعنة، ص 427-428.

23 - جاردنر: المرجع السابق، ص 429 وقارن عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 193-194.

ثم نأتي بعد ذلك إلى مصدر مهم من مصادر فترة قبيل الأسرات ونقصد به، صلاية الحصون والغنائم أو لوحة الليبيين، أو صلاية الجزية الليبية أو لوحة التحنو.[24]

وهذه اللوحة ذات دلالة أوضح من المصادر السابق، فقد ظهر بوجهها سبعة مستطيلات ذات أكتاف لا شك انها تشكل مدنا محصنة كانت جميعها تحارب معا في تحالف استطاع الملك ان ينتصر عليها، والعلامات الهيروغليفية اخل المستطيلات قصد بها أسماء الأماكن، وصور الفنان على الوجه الآخر للصلاية غنائم الحرب التي شنها ملكه، فصور صفوفا من الثيران والحمير والكباش وصور تحتها أشجارا زيتية صمغية وكتب بجانبها علامة تصويرية تعتبر من أقدم العلامات الكتابي وتدل على كلمة "تحنو" بمعنى ارض ليبيا أو على الأصح الأراضي الشمالية الشرقية من الصحراء الليبية المجاورة لحدود الدلتا[25] وتأتي أهمية هذه اللوحة من انها تحتوي على أقدم إشارة كتابية إلى الليبيين أو التحنو أقدم العناصر الليبية التي عرفها المصريون.

من المصادر المهمة التي تشير إلى الليبيين صراحة في فترة بداية الأسرات صلاية نعرمر[26] وما يهمنا من هذه اللوحة ان الفنان

24- عن لوحة التحنو انظر: P.M., V, 105, No. 6.

Petrie W.F., Ceremonial Slate Palettes, London, 1953

Murray, M.A., The Splendour That Was Egypt, New ed. London, 1964, P 1. IXVII.

جاردنر: مصر الفرعنة، 326-427.

25- عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة، ص 220-221.

جاردنر: مصر الفراعنة، ص. 426-427.

Gardiner, A.E.O., I, 119*

26- جريمال: تاريخ مصر القديمة، ترجمة ماهر جويجاني، القاهرة، 1990، ص

اظهر الملك على وجه اللوحة وهو يرتدي تاج الصعيد يأخذ بناصية زعيم خصومه ويهم بضربه بمقمعته، وظهرت أمام الأسير علامتان كتابيتان تعبران عن اسم منطقته ويحتمل ان يكون "و ع" أو "وعشي" وهو يتألف من صورة خطاف وحوض ماء أو ترعة ماء وظل الخطاف رمزا لأقصى الأقاليم الشمالية الغربية للدلتا على حدود الصحراء الليبية.[27]

أما نقوش الملك "ساحو رع" من الأسرة الخامسة والتي وجت على جدران معبده الجنازي فلعلها أول نقوش تمدنا بمعلومات مفصلة بعض الشيء عن التحنو، حيث ألقت الضوء على بينة التحنو الجسدية وملابسهم، فكان هؤلاء الرجال طوالا لهم ملامح جانبية حادة، شفاهم غليظة، لحاهم كثة، لهم شعر مميز ينمو كثيفا على مؤخرة الرقبة تصل خصلة إلى الأكتاف مع خصلة صغيرة من الشعر فوق الجبهة، والى جانب الحزام المثبت به كيس العورة، كانوا يرتدون وشاحا عريضا مميزا حول الكتفين يتقاطع طرفاه إلى الصدر، وعق تتدلى منه حلي".[28]

بمقارنة الليبيين الذين ظهروا في نقوش الملك "ساحو رع" مع الفريق الذي مثل على لوحات وصلايات فترة قبيل وبداية الأسرات المصرية، لا نستطيع ان نجد فرقا كبيرا بينهم، وان كان لتطور الفن ونضج الحضارة في تصوير بعض العناصر الفنية علاوة علة وصول الكتابة في مصر إلى مراحل متقدمة، الأمر الذي لم يتوافر للقطر الليبي

50–51 شكل 12.

27 – عب العزيز صالح: المرجع السابق، ص 224 حاشية 168.

28 – جيهان دايزنج: البربر الأصليون "تاريخ إفريقيا العام، جـــ 2 اليونسكو 1985، ص 438–439.

لا يجعلنا نقطع بهذا الشبه ورغم ذلك يمكن القول ان الفريق الذي صور على وثائق فترة قبيل الأسرات والذي تغلب عليه هيئة الليبيين هم "التحنو" الذين جاء ذكرهم في الوثائق التاريخية بوصفهم سكان الغرب.

لا شك ان بلاد "تحنو" كانت تقع غربي مصر، ولكن أي المناطق العربية؟، الحقيقية انه يمكننا تحديد موقع سكنى التحنو بصورة أدق من هذا الموقع العام.

هناك رأي يرى ان هذا الاسم "تحنو" كان يطلق غالبا على المكان الذي كان يجلب منه النطرون المستعمل في مصر القيمة لتحضير طلاء أشكال الخزف والزجاج[29] إلا ان هذه البقعة الصحراوية ليس فيها من الخيرات ما يصلح لسكنى ع كبير من الناس، كما ان تصوير الأشجار ضمن الغنائم التي ظفر بها الملك كما أسلفنا في لوحة التحنو يوحى بان أرضهم لا تشمل بلادا صحراوي فحسب، بل تشمل كذلك بقاعات خصبة في غرب وادي النيل، وعلى ذلك لابد من التفكير في واحة توجد في هذه الجهة قد تكون واحة "الفيوم"، فإذا علمنا ان الإله سبك (التمساح) منذ القدم كان يقدس في الفيوم وان هذا الإله مثل عدة مرات بوصفه سيد بلاد "باش" وهي كما تحدثنا نقوش الملك "سا حو رع" جزء من بلد "تحنو" علاوة على ان نفس الإله "سبك" قد وجد في نص يرجع تاريخه إلى عهد الملك "طهرقا" يمثل بلاد "تحنو".[30]

29– Holscher, W., Libyer und Agypter, Hamurg 1037, P. 21.

30 – Macadam M.F., The Temples of Kawo, II, Oxford, 1949.

وعلى ذلك يقرر "هولشر" ان بلد تحنو تقع في إقليم وادي النطرون والفيوم خاصة وانه هناك ما يناقض ذلك.[31]

إلا ان هناك من يرى ان كلا من وادي النطرون والفيوم كانا معروفين للمصريين جيدا، وقد وجدت أسماؤها على أثار الأسرتين الرابعة والخامسة، كما ان وادي النطرون إقليم فقير يستطيع بالكاد إعالة ما لا يزيد على الألفين من البشر، وفي مستوى معيشي فقير، من هنا لا يمكن ان يكون هذا المكان مقرا لهؤلاء القوم الذين كانوا مصدر إزعاج للمصريين، أما الفيوم فكان ينظر إليها منذ بداية التاريخ المصري بوصفها احد الأقاليم المصرية، وكانت تسمى البحيرة، أما الإله سبك فلم تكن عبادته مقصورة على الفيوم بل ان قائمة "ادفو" وصفته بأنه اله المقاطعة الرابعة من مصر السفلى، وكذلك وصف "سبك" بأنه ابن الإلهة "نيت" وقد عبد في مقاطعة الصاوية، بالإضافة إلى ان حملة "سنوسرت" الأول ضد بلاد "تحنو" عادت بماشية كان من المستحيل ان تجد ما يلزمها من طعام إلا في أراضي تقع على شاطئ البحر المتوسط، فإذا عدنا إلى الوراء قليلا نجد ان مملكة الشمال في الدلتا قد حاربت العناصر الليبية منذ وقت مبكر، وكما أسلفنا فان معظم مصادر فترة قبيل الأسرات، قد أشارت إلى ان الحروب التي صورتها كانت تقع في شمال غرب الدلتا وقد وجد ليبيون من نفس الجنس مستقرين في المنطقة الممتدة من شمال غرب الدلتا حتى الفرع الكانوبي، وهذا يساعد على تحديد الأقاليم الزراعية التي أسستها هذه الجاليات والتي كانت صالحة لتربية الماشية والأغنام المذكورة على لوحة التحنو والتي ذكرها أيضا سنوسرت الأول، فإذا علمنا ان المناطق الخصبة في ليبيا تقع بالقرب من الفرع الكانوبي أيضا حيث كانت الأرض صالحة

31 – Holscher, Op. Cit., P. 21.

لنمو المحاصيل الزراعية فكانت "يوسبريس" (بنغازي) صالحة لزراعة الغلال و"قوريني" (برقة) تنتج أكثر من محصول في العام الواحد، وعليه يمكن القول ان المناطق الممتدة من شمال غرب الدلتا حتى إقليم برقة غربا، ومن الواحات ووادي النطرون جنوبا حتى البحر المتوسط شمالا هي إقليم "تحنو".[32]

أما تفسير "نيو بري" لوضع اسم "تحنو" بين عدد من الأشجار على لوحة الجزية سالفة الذكر والتي اعتقد انها شجرة الزيتون، ويعلل وجهة نظره بان هناك نوعا من الزيت ذكر باسم "حانن تحنو" (زيت من الدرجة الأولى) وان كلمة تحنو كتبت بنفس الطريقة التي كتبت بها بلاد تحنو، وان أشجار الزيتون بكثرة في مريوط والواحات وبرقة[33] وقد اتخذ أصحاب الرأي السابق هذا التفسير دليلا على وجهة نظرهم، وان كان الدارس يميل إلى ذلك فهو يرى انه إذا افترضنا ان الشجرة المرسومة على لوحة الجزية هي نبات "السلفيوم" الذي اشتهرت به "برقة" (قوريني) منذ القدم ولم ينم في أي إقليم آخر، خاصة ان المصريين سموا هذا الإقليم باسم الشجرة غير المألوفة في مصر، والمعروف ان المصريين كانوا يعرفون الزيتون جيدا ولا يعرفون شيئا عن السلفيوم[34] نقول إذا افترضنا

32 – Fakhry, A, Bahria Oasis, 1, 1924, PP. 5–6; Gardiner, A.E.O., 1 H 117* f

El–Mosallamy, A.H.S., « Lbiyco–Berber Relattons with Ancieit Egypt, The Tehenu in Egypttan Records » Libya Antique, 2, 1986, P. 52.

33 – Fakhry, Op. Cit., PP. 5–6 ; Gardiner, A.EO 1, 117*–119*.

El–Mosablamy, Libya Antique, 2, 1986, P 52.

34 – كان السلفيوم من الأمور التي لا يمكن الكتابة من برقة وتاريخها ون ان ينال ذكره ما اســـتحقه من أطناب الحديث، حتى ان اسم برقة كان يعرف بالسلفيوم والذي لا يذكر اسمه ون ان يضاف إليها، وكان السلفيوم وحرص قدماء المؤلفين على وصفه، بل انه ضرب على العملـــة، وكان الغذاء والطب من أهم مجالات

ذلك كان تأييدا أقوى لوجهة النظر التي ترى ان أرض التحنو تمتد حتى إقليم برقة.

وهكذا نجد ان لفظ تحنو في أقدم العصور كان يدل على اسم مكان خاصة اقرب الجهات إلى مصر من جهة الغرب، ثم تغيرت دلالته بحيث صارت تطلق على جميع سكان المناطق الصحراوية الواقعة في غربي وادي النيل، ثم لا تلبث هذه التسمية ان تفقد دلالتها العرقية الخاصة لتصبح مجرد مصطلح جغرافي بحيث نراها تنجر بعد قيام الدولة المصرية القديمة على شعوب المنطقة الغربية أيا كانت سماتها وخصائصها العرقية وأيا كان زيهم وبذلك صارت هذه التسمية مساوية لمصطلح ليبي في أوسع معانيه.[35]

أما التمحو فلم يكونوا فرعا من التحنو، بل كانوا جماعة عرقية جديدة لون بشرتها فاتح وعيونها زرقاء بينهم نسبة كبيرة ذات شعر أشقر[36] والحقيقة ان شواهد ما قبل التاريخ ممثلة في تلك اللوحات البدائية المرسومة على صخور الصحراء الليبية، تشير إلى سكنى أصحاب البشرة البيضاء والشعر الأشقر في فزان والمنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى وكان ذلك خلال عصر الرعاة الذي حدد له تاريخ الألفين السادس ومنتصف الألف الرابع قبل الميلاد[37]

استخدام النبات. عن السلفيوم انظر: الهادي أبو لقمة: السلفيوم الثروة المفقودة، بنغازي، 1985.

مراجع عقلية الغناي: السلفيوم، مصراته، 1994، شامو: المرجع السابق، فصل 11.

35 – سليم حسن: مصر القيمة، جــ7، ص 35–36.

36 – Hölscher, Op Cit. ; P. 24.

37– مــوري: تــادرارت اكاكوس–الفن الصخري وثقافــات الصحراء قبل التاريخ، منشورات مركز الجهاد الليبي، طرابلس، 1988، ص18. لوحة 83.

والمعروف ان ذكر الوثائق المصرية للتمحو يعقب تاريخ الرسوم الصخرية بعدة قرون، حيث كان أول ذكر لهؤلاء القوم يرجع إلى عهد الملك "بي" الأول ثالث ملوك الأسرة السادسة إذ ذكر قائد جيشه "وني" في نقوش مقبرته في أبيدوس، انه قاد جيشا ضد بدو أسيا، وان هذا الجيش كان يضم فرقة من التمحو ضمن عشرات الآلاف من شتى أنحاء الجنوب من النوبيين من ايرثت ومجاي ويام وواوات وكاو ومن بلاد التمحو[38] وفي عهد الملك "مرنرع" و"بي" الثاني قام "حر خوف" بأربع رحلات إلى جنوب سلك خلالها طريقين طريقا يوازى النهر والدروب القريبة منه، وطريقا يصل بين الواحات عبر الصحراء الغربية، وفي رحلته الثالثة سلك طريق الواحة من أبيدوس ويحتمل ان يكون هو طريق درب الأربعين وهنا علم "حر خوف" ان هناك نزاعا بين يام وقبائل التمحو فعمل على إصلاح ما بينهما[39] وقد ثار جدل كبير حول تحديد موقع "يام" التي تعتبر نقطة النهاية في رحلات "حر خوف" فيرى "اركل" انها في دارفور[40] بينما يجعلها "كيس" عند

كوبــر: "من الصيــد إلى الرعي–ما هو العصر الحجــري الحديث في الصحراء الكبرى" الصحراء الكبرى ترجمة: مكائيل محرز، طرابلس، 1979، ص 78.

هنري لوت: لوحات تاسيلي –قصة كهوف الصحراء، ترجمة أنيس ذكى، بيروت، 1967، ص 68.

38 – B.A.R. 1, 291–294 , 306–315, 319–324

39 – عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة، ص 389.

أمري: مصر وبلاد النوبة، ترجمة تحفة حندوسة، القاهرة 1970، ص 134.

Junker, H., « The First Appearance of the Negeroes in History", J.E.A., 7, 1921, P. 212.

40 – Arkell, A.J., A History of the Sudan from Earliest Times to 1821, 2nd ed, London, 1961, P. 42 ff.

Kees Op. Cit., PP. 128 f

جزيرة ساي شمال الجندل الثالث[41] ويرى عبد العزيز صالح انها تقع قريبة من مجرى النيل حول الجندل الثاني[42] ويراها "جاردنر" جنوبي الجندل الثاني ولكنها لا تصل حتى الجندل الثالث.[43]

وتشير هذه الاختلافات جميعها إلى إمكانية وقوع بلاد "يام" جنوب غرب النوبة السفلى وطبقا لنص "حر خوف" فان بلاد تمحو تقع غرب بلاد يام "وجدت" رئيس يام قد ذهب إلى ارض التمح ليضرب التمح في ركن السماء الغربي[44] ويرى عبد العزيز صالح ان قبائل التمحو انتشرت في طريق الواحات غرب النيل وامتدت حتى واحة سليمة[45] ومن المعروف ان المصريين قد اتخذوا من التمحو جنودا لهم على هيئة فرق كاملة كما جاء على لسان "وني"، ومعنى ذلك ان التمحو عرفوا طريقهم إلى مصر فلابد تبعا لذلك ان ازداد عددهم، ومن ثم لا نستبعد ان يكون قادهم قد أصبح لهم مكانة ونفوذ إبان تلك الفترة، ولعل مكانتهم هذه بالإضافة إلى زعزعة الأوضاع خلال عصر الانتقال الأول كانت من العوامل التي دفعت بموجات جديدة من التمحو للاستقرار في مصر، حيث تشير الدلائل إلى انه حدث زحف قام به قوم من الجنوب في فترة تعاصر عصر الانتقال الأول في مصر وانتشروا بمحاذاة النيل شمالا وقد تخطا في زحفهم الجندل الثاني، ثم اكتسبوا في طريقهم سكان بلاد النوبة السفلى ثم تابعوا سيرهم حتى الجندل الأول[46] كما تدل نتائج الأبحاث الأثرية في هذه الجهات

41 – Kees Op. Cit., PP. 128 f

42 – عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة وآثارها، ص 389.

43 – جاردنر: مصر الفراعنة، ص. 119–120.

44 – جاردنر: المرجع السابق، ص 119.

45– عبد العزيز صالح: المرجع السابق، ص 389.

46 – Steindorff, Aniba, 1, Hamburg, 1935, P. 8.

ان هؤلاء القوم من جنس واحد وهم ليسوا من الزنوج، وكذلك ليسوا مثل سكان بلاد النوبة الاتدمين[47] وليس أمامنا ما يشار إليهم على هذا النحو إلا التمحو الذين لا يستبعد أنهم سلكوا طريقهم من الجنوب الغربي للصحراء الليبية متجهين نحو الشمال، لاسيما ان الكشوف الأثرية تعم مثل هذا الاحتمال، فق عثر في بلاد النوبة على مجموعة من المقادير لقوم ليسوا مصريين أطلقت عليهم بعثة « The Arehaeological Survey of Nubia » اسم المجموعة) ج(أو المجموعة الثالثة ،ذلك لعم معرفة اسمهم الحقيقي ولكن باكتشاف مقادير هؤلاء القوم بين الجندلين الأول والثاني في زمن يؤرخ بالفترة من حوالي نهاية حكم الأسرة السادسة وحتى الأسرة الثانية عشرة، وحيث ان هذه الفترة تعاصر حلول فترة الجفاف الذي ازداد في هذه الجهات منذ الألف الثالثة ق.م ،وكذلك في عدم العثور على فخار سابق لفخارهم في بلاد النوبة ،وفي ظهور فخارهم فجأة وفي مشابهة هذا الفخار للفخار الذي عثر عليه في وادي هوى على بعد أربعمائة كيلو متر من الجنوب الغربي للجندل الثالث بين دارفور والصحراء الليبية ،كل هذا يشير إلى ان أصحاب هذه المقابر وصلوا إلى النوبة قادمين عن طريق جنوبي غربي[48] ويؤيد ذلك أيضا ان صناعة وادي هوى اقل دقة واخشن صنعا من صناعة قوم المجموعة الثالثة، مما يدل على انها صناعة بائية إذا ما قورنت بالأواني النوبية، وهذا يشير إلى ان البداية كانت في وادي هوى والتطور كان في النوبة، وهذا ما

47 – Ibid, P. 6.

أمري: وبلاد النوبة، ص 138.

48 – Hölsher, Op. Cit., P. 55, Bates, Op. Cit., P. 254c
Arkell, Op.. Cit.P. 9 f
Bennety Shaw, B., "Two Burials From The South Libyan Desert", J.E.A.,32, 1936, P. 7.

يقف سندا لاحتمال ان وادي هوى كان في طريق هجرة التمحو إلى الشمال، ويوحي في نفس الوقت بالصلة بين التمحو وأصحاب مقابر المجموعة الثالثة وسكان وادي هوى، ويؤيد ذلك ما توصل إليه "باتس" من ان تلك المقابر كانت لتجمعات ليبية عاشت في النوبة[49] وإذا كنا نميل إلى رأي "باتس" في ان قوم المجموعة الثالثة ينتمون إلى الليبيين التمحو، إلا أننا لا نرى وجهة نظره في الطريق الذي سلكوه للوصول إلى هذه المنطقة، وبالتالي موطنهم الأول، حيث يرى أنهم قدموا عن طريق شمال سالكين الطريق المتجه جنوبا من واحة الخارجة واستقروا في الوادي هناك[50] وبما أننا توصلنا إلى ان المجموعة الثالثة هم التمحو يمكن ان نرجح ما ذهب إليه "ستايند ورف" الذي يرى أنهم أتوا من الجنوب الغربي من كرفان واستوطنوا جهة الشلال الثاني للنيل أولا، ويؤيد ذلك انتشار صناعة الفخار في كل مكان من النوبة وفي كرفان وصلتها الوثيقة بصناعة المجموعة الثالثة "التمحو"[51] بالإضافة إلى ذلك يمكن القول ان التمحو لم يرد ذكرهم على لسان "حر خوف" إلا في رحلته الثالثة من مناطق تقع إلى الغرب من يام مما يوحي بأنه أوغل غربا ابعد من يام مما يوحي بان بلاد التمحو تقع بعيدا جدا عن جنوب غرب مصر، أضف إلى ذلك أننا لم تسمع عنهم شيئا قبل هذا الاستيطان، ويجب إلا نغفل ان هؤلاء القوم وصلوا في هجرتهم شمالا إلى مناطق مقابلة للساحل الليبي للبحر المتوسط[52]

49 – Bates, Op. Cit., P. 252.
50 – Bates, Op., Cit., P. 245.
51 – Steindorff, Op. Cit., P. 6.
52 – احمد حســن غــزال: "ملاحظات حول التأثيرات الليبية في مقابر ســهل ميســارا جنوب جزيرة كريت في الألف الثالث ق.م" مجلة كلية الآداب العدد السابع، بنغازي، 1975، ص 304.

ولعل هذا ما دفع البعض إلى الاعتقاد بأصول التمحو الأوربية[53] وقد اختلف العلماء في نظرتهم للصفات العسكرية التي اتصف بها "التمحو"، فهناك من يرى ان تمحو (سكان النوبة السفلى) كانوا من جنس غير عدواني محبين ولم يعتبرهم المصريون لائقين كرجال للجيش، وتعليل ذلك عدم وجود أسلحة ضمن الأشياء المتنوع التي عثر عليها في مقابرهم، كما ان الحصون المصرية مثل جنود من كرمه بينما لا نجد أثرا للتمحو[54] وطبقا لما توصلنا إليه من ان المجموعة الثالثة هم التمحو يمكن القول ان "أمرى" قد جانبه الصواب فيما ذهب إليه، حيث ان عدم وجو أسلحة ليس دليلا قاطعا على ان هؤلاء القوم كانوا مسالمين فربما سرقت الأسلحة من تلك القبور خاصة وأنها قبور سطحية، والمعروف ان اللصوص نهبوا معظم المقابر المصرية قوية البناء كثيرة السراديب[55] بالإضافة إلى ذلك فانه من المعروف ان "التمحو" وفدوا إلى النوبة قبل احتلال ملوك الدولة الوسطى لها، ولذا لم يدخل التمحو تحت الحماية المصرية طواعية بل ان ذلك تطلب معارك طويلة، ويدل على ذلك الحملة التي قادها سنوسرت الأول في عهد والده (أمنمحات الأول)، أول ملوك الأسرة الثانية عشرة حيث جاء في نقش قصير وجد على صخرة قريبة من كروسكو، انه في السنة التاسعة والعشرين للملك "سحتب أب رع" (أمنمحات الأول) ليعيش للأبد حضرنا لنخضع "واوات" (النوبة السفلى)[56] وهي موطن استقرار قوم التمحو وقد أقام ملوك الأسرة الثانية عشرة

53– سليم حسن: مصر القديمة، جـــ 7، ص4.
Moller, Dle gypter und ihr liby schen ; P. 45.
54 – أمري: مصر وبلاد (النوبة)، ص 142–143.
55 – Peet, E, The Great Tomb–Robberies of the Twentieth Dynasty, 2 Vol., Oxford, 1930.
56 – B.A.R., 1 § 473.

شبكة من التحصينات، وبما ان هذه التحصينات أقيمت بعد استقرار التمحو في النوبة، فإنها بالضرورة كانت للوقاية منهم وليست حماية لهم، أما كون جنود هذه القلاع كانوا من كرمه وليس من التمحو، فهذا أمر منطقي حيث انه لا يمكن ان يدافع عن القلاع جنود من التمحو ضد التمحو، وأخيرا فان القول بان المصريين لم يعتبروهم لائقين كرجال للجيش، فان هذا يتناقض مع ما ذكره (وني) عن اعتماده على فرقة من التمحو في جيشه أثناء حملته على أسيا، وعلى ذلك يمكن القول ان التمحو كانوا محاربين أشداء، وكثيرا ما اضطر ملوك الدول الوسطى إلى مطاردتهم، وقد رسمت صورهم أثناء عصر الدولة الحديثة ومن السهل التعرف عليهم بضفائرهم التي تتدلى أمام الأذن والمطروحة للخلف على الأكتاف، وكانوا عادة يضعون ريشا في شعورهم ويلبسون أحيانا العباءات، كان سلاحهم هو القوس وأحيانا السيف أو العصى المعقوفة، وهذه الملامح ذكرها "هيردوت" عن السرتيين الليبيين في القرن الخامس ق.م ومن هنا يمكن ان نستنتج ان التمحو هم أجداد الليبيين الذين عرفهم الإغريق في برقة.[57]

أما الماشواش فهم شعب ليبي وحدهم "بروجش" كما يذكر "جاردنر" بقوم الماكسويس الذين ذكرهم هيردوت بالقرب من تونس، وربما أشير للماشواش ضمن الشعوب الشمالية التي أخضعها "تحمس" الثالث إلا انه لم يستعن بهم، ومنذ ذلك الوقت ليس هناك ما يخص الماشواش حتى عهد "حور محب" آخر ملوك الأسرة الثامنة عشرة، وقد وجد اسم الماشواش على تمثال وجد في مدخل معبد "رمسيس" الثالث بالكرنك، وأقدم إشارة للماشواش كفرقة عسكرية ضمن فرق الجيش المصري ترجع لعهد "رمسيس" الثاني حيث ذكروا

57 – جيهان ديزانج: البربر الأصليون، ص 439.

مع الشردن والكهف والنولبيين، وربما اخذ هؤلاء أسرى في معركة ليبية قبل أو في عهد "رمسيس" الثاني، أما في عهد "مر نبتاح" فكان الماشواش ضمن حملة منظمة قادها زعيم الليبو ماراى، وقد لعب الماشواش دورا ثانويا في الحرب الأولى "لرمسيس" الثالث مع الليبيين، إلا أنهم كانوا العدو الأول في الحرب الثانية، ومنذ ذلك الوقت أصبحنا نسمع عن الماشواش أكثر من الليبو[58] والحقيقة ان هناك صفات كثيرة مشتركة بين الشعبين مما يثبت أنهما كانا من جنس واحد ولكنهما يختلفان في بعض التفصيلات، منها ان الليبيين كانوا لا يستعملون جراب العورة، وأنهم كانوا لا يختنون، وان كان "ونرايت" يرى غير ذلك لان "رمسيس" الثالث فعل بهم ما فعل بالليبو إذ قطع غلفهم وأيديهم أيضا، بالإضافة إلى "مر نبتاح" يقرر في مناسبات عدة ان عضو التذكير الليبي غير مختتن، من هنا يرى "ونرايت" ان الماشواش كانوا غير مختونين أيضا وان اختلاف الملابس بينهم وبين الليبو كان مجرد نوع من الطراز وان هذه الاختلافات كانت نتيجة تأثير شعوب البحر، ومنها استعمال السيف الطويل، واستعمال إشارة لإبعاد الشر وهي الإشارة باليد في هيئة القرن في وجه الأعداء، وهذا التشابه بين الماشواش وشعوب البحر يميزهم عن الليبيين الآخرين، ومن الواضح ان الماشواش حصلوا على السيوف من أقوام أكثر منهم حضارة لأنهم كانوا مجرد رعاة وربما حصلوا عليها من شعوب البحر لان بعض هذه الشعوب وبخاصة الفلسطينيون والشردن قد حملوها كذلك، كما ان ندوة التكوينات المعنية في مواطن الماشواش لا تمكنهم من صنعها أما عن شكل اسم الماشواش، فيرى "ونرايت" انه ينتهي بـــ "شاء" ككثير من شعوب البحر مثل ايقواشا وتورشا

58 – Gardiner, A.E.O., 1, 119*-120*

وشكلش، وبهذا يبدو ان الماشواش ينتمون لنفس المجموعة[59] وهنا يمكن القول انه لا يبدو ان شعوب البحر قد أثرت تأثيرا عظيما في الحضارة الليبية كما يزعم "ونرايت" وذلك لسبب بسيط هو ان هذه الشعوب لم تستقر بل لم تنزل الأرض الليبية (سيأتي الحديث عن هذه النقطة بالتفصيل فيما بعد) وحتى لو سلمنا بان الماشواش اقتبسوا السيف الطويل من شعوب البحر فان استخدام هذا السلاح لم ينتشر على نطاق واسع على ما يبدو، وربما حصلوا عليه من شعوب البحر نتيجة التقائهم مع شعوب البحر في الأراضي المصرية أثناء حربهم مع " مر نبتاح"، حيث ان شعوب البحر لم تذكر باعتبار انها على اتصال بالليبيين إلا مرة واحدة خلال حكم "مر نبتاح" وربما كان ذلك نتيجة لاختلاط عديد من الغارات الليبية بغزو شعوب البحر[60] أما بالنسبة لشكل اسم الماشواش فان "باتس" يقرر ان اسم "مشو" هو شكل شائع عند البربر ويعني الشريف أو الحر،كما ان "شا" لا يمكن ان تشتق من القبائل لأنها كانت مستعملة قبل ان تظهر شعوب البحر في إفريقيا في عهد "مر نبتاح"[61] وعلى ذلك نرى ان الماشواش قوم ليبيون وليسوا من شعوب البحر.

أما الليبو فهم احد الشعوب الليبية التي ذكرت في نصوص "رمسيس" الثالث ومن قبله في عه "مر نبتاح"، كان أول ذكر لهم قد جاء علي أجزاء من لوحة (أو لوحات) من الجرانيت الأحمر عثر عليها

59 - Waniwrlght, G., "The Meshwesh, " J.E.A., 48, 1962, PP. 89-99.

60- دريتون-فانديه: مصر، ترجمة عباس بيومي، القاهرة، 1950، ص 477.

61- Bates, Op. Cit., PP. 2-46.

Zibellus. K., A fri Kanische orts, und volkeénamen in Hi-erogiyphischen und eratischen Terxten, wiesbadan, 1972, P. 185.

في حصن العلمين وتشير إلى ان "رمسيس" الثاني قام بغزو بلا الليبو[62] معنى ذلك ان هذا الملك وصل إلى برقة أو ابعد من ذلك حيث كان يقيم الليبو، يؤيد ذلك ان تحرك "ماراي" بن ديد زعيم الليبو كان يستهدف النزول على ارض التحنو أولا... ان زعيم الليبو ماري بن ديد انقض على إقليم تحنو برماته[63] وقد سبق ان ذكرنا ان إقليم "تحنو" يمتد حتى إقليم برقة، فإذا نظرنا إلى الغنائم التي حصل عليها المصريون من الليبو والماشواش نجد انها تشمل ماشية وأغناما وثيرانا وحميرا، وهذه الحيوانات لا تعيش إلا في مناطق رعوية غنية ان لم تكن زراعية، والحقيقة ان إقليم برقة وما يليه من الأرض الليبية يتميز بذلك، أما القول بان رمسيس الثاني قام بغزو بلاد الليبو فهذا دليل على ان هذا الفرعون ق سيطر على بلا التحنو المجاورة لمصر، أو أنهم كانوا خاضعين له، وخير دليل على ذلك ما قام به الفرعون من بناء سلسلة من الحصون في الصحراء الغربية من راقودة إلى زاوية أم الرخم[64] وآخر هذه الحصون يحد القسم الشمالي من الحدود الغربية لإقليم تحنو كما تقع هذه الحصون في أراضيهم، وهذا أمر ما كان ليحدث لو لم تكن هذه الأرض تحت سلطانه.

والحقيقة ان بناء هذه الحصون خلف موطن التحنو يشير إلى ان هذه القبيلة لم تع مصدر خطر بالنسبة لمصر، وان الخطر

62- Row, A., A Histiry of Ancient cyéenaica, Ciaro, 1948. P. 4.

63- جاردنر: مصر الفراعنة، ص 300.

64- Habachi, 1., "The Military post of Ramesses II, on The coastal Road and the Western of the Delta" B.I.F.A.O. 80, 1980, PP. 13-30.

O'ocnnor, D., « Egypt 1552-664 B.C « C.A.H » 1, 1982, PP 922-923.

الحقيقي المتوقع يمكن في قبيلة "الليبو" خاصة في الوقت الذي بدأت فيه هجرات شعوب البحر تتدفق على أسيا الصغرى وجزر بحر ايجه لذلك أدرك الفرعون خطورة الموقف لو أغار الليبو على مصر في تلك الظروف ولاتقاء هذا الخطر بادر ببناء تلك الحصون.

بدأ الليبيون يلعبون دورا مهما في التاريخ المصري بعد ذلك، فقد اشتركوا في الحروب ضد "مر نبتاح" و"رمسيس" الثالث، وكان أميرهم محرضا للحروب التي لعب الماشواش وشعوب البحر دورا مهما فيها، ثم استطاعوا بع حروب رمسيس الثالث ان يتسللوا إلى البلاد وان يحتل بعضهم مراكز مهمة فيها، وكان ذلك نتيجة لاضطراب أحوال مصر السياسية والأمنية بعد "رمسيس" الثالث، حيث اضمحلت سلطة الفرعون وفقد هيبته الإلهية، وبالتالي اختل الأمن الداخلي وبدأ الصراع بين طوائف المجتمع المختلفة، وتعتبر مؤامرة الحريم التي تعرض لها "رمسيس" الثالث من ابرز الأمثلة على اضطراب الأحوال السياسية والأمنية في تلك الفترة، ومما تجدر الإشارة إليه ان احد المهتمين في تلك المؤمراة كان من الليبو وكان يعمل حاجبا في القصر الملكي[65] كما نشبت حرب أهلية في عهد "رمسيس" الخامس أو السادس وفي عهد "رمسيس" الحادي عشر قامت ثورة ضد "امنحتب" كبير كهنة أمون، وثورة أخرى قام بها "بانجس" نائب الملك في النوبة[66] وهكذا يبدو ان اضطراب أحوال

65- Cerny, J., "Egypt from the Death of Ramesses III to the End of the Twenty-first Dynasty C.A.H3, 1980, PP. 606-620.
Edgerton, W.E., and Wilson J., Histirical Records of Ramesses III, Chicago, 1936, PP. 81-82.
Gardiner, A.E.O., I, 121*-122*
66 - Cerny, C.A.H3, 2B, 625-626.

مصر الداخلية في تلك الفترة أدى إلى إهمال الحدود الغربية حيث تركت مفتوحة نسبيا بعد رمسيس الثالث، حتى أصبحنا بعد ثلاثين عاما من مونه نرى الليبيين يتجولون في مصر في جماعات للسلب، ويسرد دفتر يومية العمال في الجبانة الملكية بغرب طيبة عدة أيام كان العمل معطلا بسبب الليبو، وحينما كانت تأتي هذه العصابات إلى العاصمة كانت تسبب الاضطرابات وتقضي على الأمن فيها.[67]

عندما حل الاستعمار الإغريقي على ليبيا لاحظوا تشابه العادات والأعراف التي كانت سائدة لدى الليبيين في زمانهم مع "التمحو" والشعوب الأخرى السابقة عليهم، وهذا التشابه يجعلنا نعتقد بان القبائل الليبية التي عرفها المصريون هم الأسلاف المباشرون للقبائل الليبية التي وجدها الإغريق، فحل الادرماخداي محل التحنو، والجلجاماي محل الليبو والنسامونيين محل الماشواش، وسكن الاسبت جنوب برقة حتى بنغازي، بينما استقر البكاليس في توكرا "توخيره"[68] وعلى ذلك يمكن توزيع القبائل الليبية التي وجها الإغريق عند استعمارهم ليبيا وفقا لما ذكره "هيردوت" على النحو التالي، قبيلة الادرماخداي وهي اقرب القبائل الليبية إلى مصر حيث يمتد إقليمها من حدود مصر الغربية حتى ميناء "بلونس" (سيدي براني ثم قبيلة الجلجاماي التي يمتد إقليمها من سيدي براني حتى جزيرة "افروديدوس" (جزيرة كرسة) غربي درنة، وهم الذين نزل الإغريق بأرضهم وقادوهم بعد ذلك من ازيرس إلى الموقع الذي أسست فيه مدينة قوريني، ثم قبيلة الاسبوستاي ويليهم من جهة الغرب قبيلة الاوسخيساي الذين كانوا يقطنون مناطق المراعي، وكانت تقيم بالقرب منهم قبيلة البكاليس وهي قبيلة صغيرة العدد ويتصل إقليمها

67 - Ibid; PP. 20-626.
68 - Rowe, Op. Cit., PP. 8-9

بالبحر عند توكره (توخيره)، ومن أشهر القبائل الليبية وأكثرها عدا هي قبيلة النسامونيس التي كانت تقيم حول خليج سرت، ويشير هيردوت إلى ان هذه القبيلة كانت تترك قطعانها بجوار البحر صيفا حيث تذهب إلى واحة أوجله لجني البلح، وفي ذلك إشارة إلى ان موطن هذه القبيلة لم يقتصر على المنطقة الساحلية فقط بل كان يمتد إلى الداخل حيث كانوا يسيطرون على واحة أوجله. أما المناطق الجنوبية فكانت تسيطر عليها قبيلة الجرامنت التي كانت لها علاقة تجارية كبيرة مع القرطاجيين من ناحية ومع الشعوب الإفريقية من ناحية أخرى.[69]

2- الحالة الاقتصادية:

بالنظر إلى جغرافية ليبيا يمكننا معرفة مصادر ثروتها، وبالتالي أهم الحرف التي مارسها سكانها، والحقيقة ان ليبيا تتمثل فيها مظاهر السطح المختلفة، ففيها السهول سواء ساحلية أو واحات، وبها أيضا الهضاب المختلفة، بالإضافة إلى الصحراء التي تحظى بالنصيب الأكبر من مساحة هذا القطر، وفيها يتعلق بالمناخ والنبات، فهي مختلفة من قسم إلى آخر، فنجد السهول الساحلية تتمتع بمناخ البحر المتوسط وتنمو بها النباتات وأشجار النخيل والموز، كما انها تقطع بعدد من الأودية التي تنحدر إليها من الهضبة وهي غزيرة المياه في فصل الشتاء، وتكثر في الأجزاء الغربية ظاهرة البحيرات العذبة التي هي في الأصل أجزاء من المستودع المائي الباطني انهارت سقوفها فبدت على شكل بحيرات،[70] وتزداد الأمطار غزارة على مناطق الهضاب خاصة هضبة

69- Bates, Op. Cit., P. 195

70- إبراهيم رزقانة: جغرافية الوطن العربي- المملكة الليبية، القاهرة 1964، ص44-59.

قورينائية، وقد أدت هذه الأمطار بالإضافة إلى اعتدال المناخ ورطوبة الجو إلى نمو الغابات الطبيعية، ومنها أشجار الصنوبر والبلوط، وتشتهر هضبة قورينائية بزراعة الحبوب والفاكهة والخضروات والبقول، وتقل الأمطار وبالتالي النباتات كلما اتجهنا جنوبا نحو الصحراء حيث تنمو الحشائش التي يعتمد عليها السكان في الرعي، ويعتبر إقليم قورينائية من أشهر مناطق الرعي في العالم القديم، حيث كانت تكثر به الأغنام والأبقار والخيول، أما إقليم الواحات الصحراوية، فمناخه صحراوي عديم الأمطار ويشتهر بزراعة النخيل، ويعتمد هذا الإقليم اعتمادا كليا على المياه الجوفية الغزيرة التي تكفي لزراعة الحبوب وتربية الحيوانات[71] وعلى ذلك اختلفت حرف السكان وتنوعت من منطقة إلى أخرى.

أما حرفة الصيد، فيمكن القول ان ليبيا تعتبر معرضا متنوعا للحيوانات البرية، حيث توجد هذه الحيوانات بكثرة على طول الحدود الشمالية للصحراء الليبية، وطبيعي ان تعتبر حرفة الصيد من عناصر الحياة الاقتصادية للقبائل الليبية، وفي نص يرجع تاريخه إلى عه "تحتمس" الأول وصف الليبيين بأنهم حملة جلود، وذلك لكثرة استعمالهم لجلود الحيوانات التي يصطادونها، كما صورت الآثار المصرية الليبيين وهم يرتدون الجلود ملابس لهم، كما ان الملكة "حتشيسوت" حصلت على عدد من جلود الفهود من قبيلة التحنو طول الواحد منها خمسة اذرع وعرضه أربعة[72] ومن النقوش المصرية أيضا نتبين ان التمحو والليبو كانوا يضعون فوق رؤوسهم ريشة أو ريشتين من ريش النعام كحلية شخصية، وقد دفعهم ذلك بالطبع

71- عبد العزيز طريح: جغرافية ليبيا، القاهرة ، 1970، ص 114-11.
B.A.R., II. p 225.

72- Bates, Op. Cit., P. 193.

إلى اصطياد النعام باستمرار، هذا ان لم يكونوا قد حاولوا استئناسه، كما ان بعض الصور والرسوم الصحراوية تظهر لنا كثرة وتنوع الحيوانات التي كانت موجودة في الفترة التي نحن بصددها والأسلوب المتبع في اصطيادها والأدوات المستخدمة في ذلك، فتظهر بعض الرسوم الصيادين في جماعات منتظمة يعملون على صيد الحيوانات بالشباك والأسلحة البسيطة كالهراوات التي يثبتون في أطرافها رؤوس حراب حجرية، أو يستخدمون النبال والرماح، وتظهر رسوم أخرى بعض الصيادين وهو يرتدون ملابس جلية ويلبسون أقنعة من رؤوس الحيوانات كالغزلان وحمار الوحشي والذئاب والفهود وتمكنهم من خداع الحيوانات التي يريدون اصطيادها، وتظهر رسوم أخرى صيادي الزراف والنعام[73] ومن الطبيعي ان هذه الرسوم مرتبطة بالبيئة التي كان يعيش فيها الرسام، وان الحيوانات كانت من أهم الأشياء في حياة إنسان الصحراء.

وأشار "سترابون" إلى ان السكان المجاورين لخليج سرت كانوا يمارسون صيد السمك حيث يساعدهم عليه عامل المد والجزر[74] وأشار "هيردوت" إلى ان قبيلة النسامونيس كانت تصطاد الجراد الذي يجفف في الشمس ويطحن ثم ينثر على اللبن ويشرب.[75]

وهكذا يتضح ان الصيد كان من أهم الحرف التي مارسها

73– هنري لوت: لوحات تاسيلي – قصة كهوف الصحراء الكبرى، ط 1، ترجمة أنيس زكي حسن، بيروت، 1976، أشكال 24، 21، 42، 44، 59، 86.

موري: تادرارت اكاكوس–الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعبازي، ليبيا، 1988، أشكال 81، 95، 98، 102.

74 – Strabo, XV II, 17

75– هيردوت: 4: 172.

الليبيون ويعتبر مصدرا كبيرا من مصادر رزقهم وكسائهم.

أما الرعي فتشير النصوص إلى الأعداد الكبيرة من الحيوانات المستأنسة التي كان المصريون يستولون عليها من الليبيين وقت الحرب ويستوردونها منهم في لكبر الظن وقت السلم، من ذلك استيلاء الملك "سنفرو" على 13100 رأس ماشية من الليبيين وقد خلدت ذكرى هذه المعركة على حجر بالرمو.[76]

وفيما ور من أخبار مصورة على بقايا جدران المعبد الجنازي للملك "ساحو رع" انه غنم أعدادا كبيرة من الثيران والغنم والبقر والحمير والماعز، وفي عهد "امنحتب" الثالث يظهر الماشواش الذين دخلوا مصر في خدمة الملك، رعاة لما كان يستورد من ليبيا من ماشية كانت تربى في مصر ويستخرج منها الدهن، وكذلك استولى "مر نبتاح" أثناء غزوه للمناطق الليبية على 1308 رؤوس من الماشية[77] ومن عهد "رمسيس" الثالث تشير بردية "هاريس" إلى ان هذا الفرعون استولى على أعداد كبيرة من الماشية من جيرانه الليبيين[78] أما الخيول فلم تعرف في ليبيا إلا في وقت متأخر نسبيا بعد ان تم إدخالها إلى المنطقة من مصركما قام الليبيون بتربية النحل، وقد أشار هيردوت إلى ذلك وأضاف بان الصناع يستطيعون صناعة عسل صناعي أيضا.[79]

وهكذا نرى ان الليبيين كانوا يعتمدون اعتمادا كبيرا في

76 – Urkunden, 1, 235–249 B.A.R., 1 § 146.

77 –Bates Op. Cit., P. 95

Wainwright, G., "The Mashwash" , J.E.A.; 48, 1962, PP. 89–99.

78– انظر أعلاه ص 8 حاشية 1.

79– هيردوت: 4–183.

حياتهم الاقتصادية على تربة الحيوانات وقد وجهوا اهتمامهم إلى ذلك بعناية فائقة واظهروا خبرة ودراية في هذا المجال، وقد ساعدهم على ذلك وفرة المراعي واتساعها وصلاحيتها لتربية أنواع مختلفة وبأعداد كبيرة من هذه الحيوانات.

وقد أتاحت خصوبة التربة ووفرة المياه في بعض المناطق لليبيين ان يعملوا بالزراعة منذ وقت مبكر، وأول إشارة صريحة إلى الزراعة الليبية تأتي من الأسرة التاسعة عشرة، فقد ورد في لوحة "أتريب" ان "مر نبتاح" بعد انتصاره على الليبيين اخذ كل عشب يأتي من حقولهم، ولم يعد هناك حقل مزروع، كما نهب ما في مخازن الرئيس الليبي من حبوب.[80]

وعندما أخذت مصر تعتم على الجند المرتزقة من القبائل الليبية في جيشها كان هؤلاء يأخذون أجرهم على هيئة اقطاعات من الأراضي يقومون بزراعتها، وفي هذا دليل كاف على أنهم كانوا يعرفون الزراعة ويقومون بها، وقد ذكر "هيردوت" خصوبة منطقة نهر "كينوبس" (وادي كعام) الذي أقيمت عيه مدينة "لبده" ومنطقة "يوسبريس" وتعتبر الأولي من أخصب المناطق التي تزرع قمحا في العالم إذ تغل محصولا يماثل بذره ثلاثمائة مرة، وتغل الثانية محصولا يماثل بذره مائة مرة في السنوات الخصبة[81] وقد أشار "ديودور" إلى ان بعض القبائل الليبية كانت تمتلك أرضا تزرعها وان الإقليم المجاور لــ"قوريني" (برقة) يتميز بتربة خصبة حيث ينتج محاصيل متنوعة كالحنطة والكروم والزيتون.[82]

80 – Wilson; J., A.N.E.T., PP 376-378 Bates, Op. Cit., P. 98.

81- هيردوت: 4: 198.

82 – Diodorus, III, 49-50.

وعلى ذلك يتضح ان القبائل الليبية حاولت استغلال الأراضي الصالحة للزراعة اخل إقليمها قدر استطاعتها وزرعت ما تحتاج إليه من محاصيل كالقمح والشعير والزيتون والكروم والنخيل وتشكل الزراعة إحدى العائم الرئيسية لاقتصاديها.

أما التجارة فقد كان لموقع ليبيا اثر كبير في السيطرة على الطرق التجارية سواء منها ما يربط بين البحر المتوسط وأواسط إفريقيا وخاصة مع السودان وتشاد أو تلك التي تربط شرق القارة وغربها، وقد عرف الليبيون التجارة منذ وقت مبكر، وقد عثر في مصر على بقايا أثرية لا تأتي إلا من وسط القارة مثل قطعة مقوسة من أنياب العاج والتي وجدت في المعبد العتيق في "نخن" فترة بداية الأسرات[83] كما ورد في نصوص الملكة حتشبسوت انها حصلت من قبيلة التحنو على عاج وسبعمائة سن فيل، ومن الصعب الحصول على هذه الأشياء من أي مكان آخر عدا السودان وتشاد[84] وكان من بين الغنائم التي استولى عليها "مر نبتاح" من الليبيين أوان فضية وكؤوس شراب من الفضة وتروس وسكاكين بلغ عددها 3174 قطعة، كما ان هذا الملك غنم من الماشواش سيوفا من البرونز عددها 9111 سيفا، وقد أشير إلى سيوف الماشواش أيضا في غنائم "رمسيس" الثالث وقد لفت نظر المصريين في هذه السيوف طولها غير العادي الذي يبلغ من ثلاثة إلى أربعة اذرع.[85]

ومما تجر ملاحظة ان المصادر التاريخية لم تشر وجود المعادن

83- عبد العزيز صالح: حضارة مصر القديمة، ص 216.

84- Urkunder, IV, 373. B.A.R., II, 225.
Bates, Op. Cit., P. 101.

85 – Waniwright, J.E.A., 48, P. 95.
B.A.R., III, § 250.

في ليبيا مما يرجح حصول الليبيين علة هذه الأشياء من أماكن أخرى ربما من أوربا، وكان ذلك عن طريق التبادل التجاري،حيث كانت هذه القبائل تصدر إليها بعض المنتجات الزراعية والحيوانية، وتستورد في مقابل ذلك المعادن، ومن المرجح ان جزيرة "بلاتيا" كانت مركزا تجاريا تقصده القبائل الليبية المقيمة في داخل برقة.[86]

ونظرا لأهمية هذه المنطقة من الناحية التجارية، فق أسس القرطاجيون مراكز تجارية على طول خليج سرت[87] تنتهي عندها القوافل التي تحمل منتجات إفريقيا وترسو بها السفن التي تنقل منتجات أوربا حيث يتم التبادل التجاري، وكانت المنتجات الإفريقية تأتي عن طريق ليبيا إلى أسواق أوربا، وكان من أشهر هذه المنتجات العاج، حيث عثر كريت على أختام وتمثال لقرد، ثم الصوف والجلود والأخشاب وعلى رأسها الأبنوس الذي كان يأتي من أثيوبيا

86– Boardman, J., The Greeks Over seas, London, Penguin Booke, 1964. P. 170.

87– لا يمكن تحديد تاريخ تأسـيس كل المستوطنات الفينيقية في شمال إفريقيا، إلا انـه من المتفق عليـه قرطاجة كانت أولى المدن الفينيقيـة في شمال إفريقيا ثم ذلك تأسيس المراكز التجارية الأخرى مثل "لبدة" و"أويا" (طرابلس الحالية) ثم "صبراته" وغيرها بالإضافة إلى هذه المن الرئيسـية وجدت مراكز أخرى صغيرة تربط بين تلك المدن مثل "اسـاريا" (قرية سعيد أو المايا) و"فاكس" وهي واحة بين الزاوية والمايا، ثم "كاراكس" ثم"يوفرانتا" (سرت الحالية) إذا علمنا انه اتفق على تأسيس قرطاجة في الربع الأخير من القرن التاسع ق.م يمكن القول ان هذه المن والمراكز قد تلت ذلك ربما في القرن السـابع أو السادس . عن مناقشة ذلك انظر:

أبو المحاسن عصفور: المدن الفينيقية، بيروت، 1981، ص 63–86.

احمد محمد منديشـة: التاريخ السياسـي والاقتصادي للمدن الثلاث، بنغازي، 1993، ص 33–38.

والأصباغ وريش النعام وبيضه الذي يعثر عليه بع الحين والآخر في قبور الانزوسكيين في ايطاليا، والزيت والحبوب والملح والصمغ والذهب الذي يأتي عن طريق الجرامنت، هذا بالإضافة إلى تجارة العبيد التي كانت رائجة في هذه الفترة.[88]

أما الواردات فكان أهمها الأسلحة والأدوات المعدنية والأواني الفضية والأقمشة والخزف والزجاج والفخار[89] وسائر ما يحتاج إليه الليبيون ورغبوا فيه ولم يتمكنوا من صنعه وكان الليبيون يلعبون دورا كبيرا في هذه التجارة مع الإفريقيين من جهة ومع القرطاجيين من جهة أخرى، ويتولون قيادة القوافل التجارية ويسيطرون سيطرة تامة على الطريق الصحراوية، واهم هذه الطرق التجارية، الطريق الساحلي من مصر حتى يوسيريدس (بنغازي) والطريق المتجه من طيبة (الأقصر) بمصر العليا إلى واحة الخارجة فالداخلة فالفرافرة فالبحرية فسيوه فالجنوب، ومن هناك يتفرع الطريق إلى أوجلة ثم سرت أو إلى فزان، وهناك طريق يتجه جنوبا أوجلة إلى الكفرة ومنها إلى دارفور، وطريق من طرابلس إلى فزان ثم تشاد، وكانت البضائع تنقل على ظهر الثيران أو العربات التي يجرها الثيران، وقد عثر على بعض الرسوم الصخرية التي تصور ذلك.[90]

ثالثا– مصر وليبيا وشعوب البحر:

يعتبر عصر الدولة الحديثة من أهم الفترات التي خلفت لنا من المصادر المكتوبة والمصورة ما يلقي اكبر قدر من الضوء على

88 – Bovill, E.W., The Golden Trade of The Moors, London, 1968, PP. 18–22

89 – Bates Op. Cit., P. 103.

90 – Bates, Op. Cit., P. 107.

التاريخ الليبي قبل "هيرودوت"، ذلك ان عصر الدولة الحديثة قدر له ان يعاصر ويعاني تحركات الهجرات الضخمة التي سببت عن ضغط أقوام هندو-أوربية من البلقان والبحر الأسود على السكان السابقين لإغريق العصر الكلاسيكي في جزر وسواحل البحر المتوسط، إذ ببداية القرن الرابع عشر ق.م سقطت كريت في أيدي الآخيين، واتجه هؤلاء يبحثون عن موطن جديد، ولكن لم تلبث هجرات هندو أوربية جديدة وعنيفة ان وفدت على شرق البحر المتوسط ودفعت أمامها السكان مما سبب عصرا من "الإزاحة السكانية" – ان صح هذا التعبير- شعروا بوقعها بعنف في الشرق الأدنى القديم وفي أسيا الصغرى، وجزر بحر ايجه وبلاد اليونان، وقد أطلق المصريون على هذه القبائل الوافدة اسم "شعوب البحر".[91]

إبان هذه الفترة اشتدت غارات الليبيين على مصر حيث بدأوا في الهجمات ض المصريين بجراءة، وجاء أول هجوم خطير من الغرب في بداية عهد الملك "ستى" الأول، والمعلومات المتوافرة عن هذا الهجوم أمدتنا بها الصور المنقوشة على احد جذران معبد الكرانك حيث أشير في تلك النقوش إلى هؤلاء المهاجمين باسمهم القديم "التحنو" ولعل المقصود هنا أقوام "الماشواش" التي سنراها فيما بعد تشكل السواد الأعظم من الحملات الليبية اللاحقة ضد مصر[92] أما

91- عن الاضطرابات في شرق البحر المتوسط وشعوب البحر انظر:
Barnette R.D. « the Sea peaptes », C.A.H3., 2A, 1980, PP. 359-371.
Albright, W.F., "the Sea Peoples in Palestine", C.A.H3, 2 A, PP. 507-515.
WainWright, G.A., "some Sea Peoples and others in the Hittite Archives" J.E.A., 25, 1939 PP. 148-152.
92- El-Mosauamy, Op. Cit., PP. 39-40.

عهد "رمسيس" الثاني فقد اضطر هو الآخر للتصدي للمحاولات الليبية في الدخول إلى مصر، حيث تشير النقوش التي زينت مسلاته المكتشفة في تانيس إلى ضم وحدات عسكرية من الليبيين إلى الجيش المصري، وفي هذا ليل على ان هذا الفرعون هو الذي وضع اللبنات الأولى للسياسة التي سيسير على هديها خلفاؤه والمتمثلة في أبعاد هؤلاء الليبيين عن طريق الاستنجاد بهم بالرغم من أنهم مبعث الخطر أصلا، وعلاوة على ذلك نجد ان "رمسيس" الثاني ينشئ سلسلة من الاستحكامات تمتد على طول الساحل المصري المطل على البحر المتوسط غربي الدلتا حتى العلمين الحالية، بل في أماكن ابعد من ذلك غربا، وهناك نص في وادي السبوع بمنطقة النوبة مؤرخ بالسنة الرابعة والأربعين من عهد "رمسيس" الثاني يشير إلى أسرى التحنو المستخدمين في بناء المعبد هناك.[93]

وهكذا نرى تصميم فرعون مصر على وضع منطقة "مراقبة" البطنان وقوريني (برقة) تحت المراقبة العسكرية من عدة نقاط مبثوثة على طول الساحل وكانت هذه الاستحكامات كافية لاتقاء مخاطر جيرانه فترة حكمه، إلا ان فترة الراحة الطويلة التي منحها "رمسيس" لنفسه قرب نهاية حكمه لم نكت تتفق والتحركات التي تجري فيما وراء الحدود الغربية لمصر، ومن هنا تجددت المحاولات الليبية للنزوح إلى مصر، حيث ظلوا يتدفقون نحو غرب الدلتا، وزاد

93- Faulknor, R.O., "Egypt from Inception of the Nineteenth Dynasty to the Death of Ramesses III", C.A.H3., 2 A 1980, PP. 229-230.
Rowe, A., "A Hstoiry of Ancient Syrenaca" A.S.A.E., cahier No. 12, 1948, P.4 .
Habachi, B.I.F.A.O., 80, PP. 13-30, P.M., VII, 368-369.
جاردنر: مصر الفرانة، ص 298.

من خطرهم انضمام شعوب البحر إليهم، وهكذا يبدو ان أخريات رمسيس الثاني الهادئة قد أعطت قبائل الليبو الفرصة وتدمير القلاع والحصون والاندفاع بقواتهم صوب الواحات لإخضاع الماشواش والحصول على تأييد بعض شعوب البحر وتدمير القلاع والحصون والاندفاع بقواتهم صوب الواحات الشمالية.[94]

وترجع أسباب هذا الزحف من جهة نظر بعض المؤرخين[95] إلى عدة أسباب، منها زوال شخصية "رمسيس" الثاني ذات الشهرة الحربية، بالإضافة إلى العوامل الاقتصادية حيث ان ليبيا بلد فقير لم يكن فيما مضى يقوم بأود سكانه الأصليين، ولهذا كان السكان المهاجرون لمصر خلال كل العهود دائمي الرغبة في ان يتركوا حياة الصحراء ويتمتعوا بالأمن والراحة على حدود وادي النيل، وان كان الدارس يرى ان هذا سبب غير منطقي بهذه الصورة، حيث انه من المعروف ان المناطق الشرقية من ليبيا هي مناطق غنية بمحصولاتها وحيواناتها –ولاتزال– بدليل ما كان يكره الفراعنة من الغنائم الكثيرة التي يحصلون عليها من حملاتهم ضد الليبيين، فهل من المنطق الحصول على هذه الغنائم من المناطق صحراوية فقيرة، بالإضافة إلى ان غنى هذه المناطق سيكون من أسباب اندفاع الإغريق لاحتلال الإقليم الشرقي من ليبيا خاصة إقليم قورينائية –وعلى ذلك يجب البحث عن أسباب أخرى لنزوح الليبيين إلى مصر.

ويفسر "ويلسون" العوامل الاقتصادية في هذه التحركات تفسيرا ربما يكون مقبولا، حيث يرى ان شعوب البحر حين اخضعوا

94- يويوت: مصر الفرعونية ، ث 139.
95 - Wilson, J., "the Libyans and the End of the Egyptian Empire", A.J.S.I., 11, 1935, 35.

كريت أصبحوا الخلفاء الطبيعيين للتجارة البحرية الكريتية،ومن المحتمل انه في تلك الفترة كانت التجارة البحرية المصرية قد أصابها الخمول، من هنا كان الصراع بين شعوب البحر ومصر من اجل تجارة البحر المتوسط، وربما كان ذلك هو السبب الذي جعلهم ينضمون لليبيين ضد مصر في هذه الحرب.[96]

من هنا نرى ان شعوب البحر كانوا يعرفون دوافع الليبيين في محاولة النزوح إلى مصر أو ان هؤلاء كانوا بالفعل مستقرين في غرب الدلتا.

على أية حال ما ان انقضت خمس سنوات على اعتلاء "مر نبتاح" عرش مصر تعرضت البلاد لهجمة ليبية خطيرة، حيث تمكن "ماراي" بن ديد أمير الليبو ان يجمع بين الحلفاء من جنسية "قهق وماشواش" إلى جانب خمسة من شعوب البحر هم ايقواشا والتورشا واللوكا والشردن والشكلش وان يأخذ معه كل محارب حسن وكل رجل قتال في قبيلته وقد احضر معه زوجه وأطفاله[97] وكذلك فعل خلفاؤه إذ جاءوا بنسائهم وأطفالهم، كما جاءوا بالماشية والأسلحة، ومع ذلك فان الحاجة هي التي دفعت بهم إلى هذه المغامرة، وتصورهم نقوش الكرنك بأنهم "... كالديدان لا يهتمون بأجسامهم، بل كانوا يحبون الموت ويحتقرون الحياة وقلوبهم متعالية على أهل مصر"... رؤساؤهم، لقد أتوا إلى ارض مصر سعيا وراء الطعام الذي يسدون به أفواههم[98] على أية حال تمكن الفرعون "مر نبتاح" من الانتصار على الليبيين عن حقول "البر_ار" الواقعة شمال غرب منف وتمكن

96- Ibid, P. 75
97- B.A.R., III p. 579.
98- B.A.R., III, pp 569-592

"ماراي" بن ديد من الهرب.[99]

ان ارتداد الليبيين أمام "مرنبتاح" لم يمنعهم من إعادة الكرة ومحاولة العودة إلى مصر بعد ذلك بحوالي ثلاثين عاما، فكان على "رمسيس" الثالث ان يرد حملتين قويتين نقرأ في الأولى منها أسماء الليبو والسيد والماشواش يعاضدهم شعوب البحر، وفي حربه الثانية كان الماشواش هم العنصر الغالب ومعهم أسماء كثير من القبائل والبطون منهم الليبو والاسبت والقايقش والهسا والبقن، والواقع ان تهديد شعوب البحر في عهد "رمسيس" الثالث لم يقتصر على تحالفهم مع القبائل الليبية فحسب، وإنما تحالفت أقوام كثيرة أخرى منهم للإقامة بصفة دائمة لا بمصر وحدها وإنما بسوريا وفلسطين أيضا، وقد احضروا معهم نساءهم وأطفالهم وما يملكون في عربات تجرها الثيران وهاجموا مصر في السنة الثامنة من حكم "رمسيس" الثالث من الشمال عن طريق البحر ومن الشرق عن طريق فلسطين، وكان من هذه الأقوام البلست والثكر واسكلش والدانونا والوشش والشردن، وقد تمكن رمسيس الثالث من رد هذا الخطر، وان نجحت بعض هذه الأقوام في الإقامة بصفة دائمة في الشرق الأدنى.[100]

الحقيقة ان هناك مسألة تجب مناقشتها بشيء من التفصيل، وهي كيف التحالف بين شعوب البحر وبين الليبيين؟

انقسم المؤرخون حيال هذه المسألة إلى اتجاهين، الأول يرى

99 – Bates, Op. Cit., P. 60.
100 – Edgerton, W.F. and Wilson, J., Historical Records of Ramesses III, Chicago, 1936, PP. 35–38.
Neson, H, "The Naval Battle Pictured at Medinet Habu". J.N.E.S. 2, 1943, PP. 40–55
Faulkner, C.A.H3, PP. 244–47.

ان هذا التحالف قد تم على الأرض الليبية، حيث ان شعوب البحر حين فكرت في الاتجاه جنوبا، كان الشاطئ الإفريقي عند برقة اقرب إليهم من أي نقطة أخرى، ومن هنا نشأت علاقات ودية بين ليبو برقة وشعوب البحر، وكانت السيطرة على تجارة البحر المتوسط هي السبب الذي جعل هذه الشعوب تتحالف مع الليبيين ض مصر، وكانت الزعامة في هذا التحالف لليبيين دائما، وهذا يعني ان القبائل الليبية كانت قوية ومتحضرة بما سمح بان يدين لها بالزعامة أصحاب الحضارة الإيجية السابقة للحضارة الإغريقية الكلاسيكية.[101]

أما الاتجاه الثاني فيرى لصحابه ان الفراعنة قد اصطدموا بجيوش شعوب البحر هذه أما في فلسطين وأما على ساحل دلتا النيل، وهذا يعنى ان تحالف شعوب البحر مع الليبيين قد تم داخل الأراضي المصرية، وتعليل ذلك ان الملك "مرنبتاح" قد قاد بنفسه _حوالي نفس الفترة التي كان يحارب فيها ض ليبيا، وهذا فعله رمسيس الثالث أيضا– حملة أو عدة حملات ضد شعوب البحر في فلسطين، وعلى فمن المستحيل القول بان هذه الأقوام قد هاجمت مصر من الغرب مع الليبيين، لان ساحل مراقبة (البطنان) القوريناني، شبه القاحل لا يكفي لإغراء هذه الأقوام الغازية بتجشيم أنفسها عناء عبور البحر بمراكبها لمجرد الحصول على غنائم لا تعدو بضعة قطعان من الماشية وبعض الأسرى الليبيين ثم ان جزيرة "فاروس" المواجهة لدلتا النيل قد اتخذت كمرسى لمراكب أولئك الغزاة[102] ولو كانت شعوب البحر

101– فوزي جاد الله: مســائل في مصادر التاريخ الليبي قبل هيردوت،ليبيا في التاريخ، بنغازي، 1968، ص 68
Wilson, J. Aisi, P. 75.

102– قامت بعثة جامعة بنســلفانيا في عام 1963 بالتنقيب عن آثار الليبيين في مصر البرونز الذين سكنوا برقة معاصرين لمصر القديمة وجاء ذكرهم في نصوصها

قد استقرت في ليبيا لكان لها الزعامة في هذا التحالف بصفتها الفريق الأقوى المنتصر الذي استطاع التغلب على القبائل الليبية ويستقر بأرضهم بغض النظر عن مستوى الحضارة الذي لا يمكن ان يفرض زعامة فريق مهزوم على فريق منتصر، فالكلمة هنا للقوة وليست للحضارة، كما ان الاستقرار يعني الإقامة وممارسة الحياة اليومية وبالتالي كان لابد من وجو ما يشير إلى إقامتهم في هذه المناطق، إلا انه لم يعثر حتى الآن على اثر ايجابي يشهد بان شعوب البحر هذه قد قدمت إلى ليبيا واستقرت بها على نحو دائم في تلك الحقب التاريخية، علاوة على ذلك فان مجريات الأحداث تشير إلى ان هذا التحالف قد تم على الأرض المصرية وكان وليد المصالح المشتركة بين الفريقين، حيث ان قبيلة الليبو ق اجتازت ارض "مارماريك" متجهة نحو المناطق الغربية من مصر، وتصف نقوش الكرنك[103] عرش مصر، ويبدو من سياق النص ان المهاجرين الليبيين بسطوا سيطرتهم عليها، وبعد هذا التوغل في الأراضي المصرية ربما وجد هؤلاء الليبيون، خلفاء لهم من الماشواش والقهق الذين كانوا موجودين منذ عهد "رمسيس" الثاني، حيث أننا لا نستبعد ان يشجع تقدم الليبو في الأراضي المصرية، بني جلتهم على الانضمام إليهم وعمل زعيم الليبو على الاستعانة بهم لتحقيق هدفه، فهم اخبر من غيرهم بقتال المصريين واعرف بمسالك البلاد، ولابد ان نجاح الليبو في الاستيطان على نحو ما مر بنا، شجع أيضا المرتزقة من شعوب البحر إبان تلك الفترة على التمرد في

في القرنين الثالث عشر والثاني عشر ق.م. واشتركوا في الحروب بين شعوب البحر وبين المصريين، ومحاولة العثور على مواقعهم الساحلية ولكن البعثة لم توفق في تحقيق أهدافها.

Carter, T.H. In Expedition, The Buletin of the University Museum of the University of Pennsylvania, Spring, 1963.

103 - B.A.R. III, pp 572-592.

نهاية حكم "رمسيس" الثاني حيث ان الملك "مرنبتاح" يؤكد في حديثه لرجال بلاطه وقوع الغزو الخارجي والثورة الداخلية في وقت واحد".. أقوام الأقواس التسعة ينهبون تخومها والثوار يغزونها كل يوم" فلعل المرتزقة في الجيش المصري من شعوب البحر حاولوا انتزاع شيء لأنفسهم وسط تلك الظروف، ولعل تلك الحالة التي آل إليها أمرهم هي التي لفتت انتباه زعيم الليبو لاستمالتهم والاستعانة بهم، وربما كان هذا ما دفع البعض إلى القول بان المتحالفين مع الليبو كانوا جنودا مصريين فارين من الخدمة في الجيوش المصرية قاموا بالانضمام إلى أقوام الليبو والماشواش للقتال معهم ضد القوات المصرية.[104]

إبان تلك الفترة تعرضت مصر لهجوم شعوب البحر الزاحفة عن طريق فلسطين[105] معنى ذلك ان هجومهم على مصر، ربما تزامن مع زحف الليبو فوج كل منهما في الأخرى حليفا له، وبما ان الليبيين كانوا ق استقروا في مناطق غرب الدلتا "... لقد نفذوا إلى حقول مصر مرات حتى النهر العظيم، ولقد نزلوا وامضوا أياما كاملة وشهورا قاطنين"[106] فقد كان لهؤلاء اليد العليا وبالتالي كان لأميرهم الزعامة، وحيث ان أناشيد النصر تنقش بعد تحقيقه فذكرت ان زعيم الليبو قد انقض على إقليم التحنو كله ثم ذكرت بعد ذلك الشردانا والشكلش ايقواشا ولوكا والتورشا من شعوب البحر، مما جعل البعض يعتقد بان الليبيين تقلدوا قيادة هذه الكتل غير المنسجمة من شعوب البحر من ليبيا وهاجموا بها مصر، إلا ان التحالف في

104- شامو: الإغريق في برقة، ترجمة محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي، 1990، ص 43.

105- Naville, E., "Did Menephtah Invadesyerla", J.E.ZA. 2, 1915, PP. 195-201.

106 - B.A.R., III, §

الحقيقة تم داخل الأراضي المصرية.

بعد فشل الليبيين في دخول مصر عنوة، اتخذ ضغطهم شكلا آخر، وهو وان كان اقل ظهورا للعيان إلا انه ربما كان أكثر فاعلية، وتمثل ذلك في التغلغل البطئ الذي شجعه تجنيد المصريين للمرتزقة في جيوشهم، فبعد انتصارات "رمسيس" الثالث واستقرار الأمور في مصر، كان يستجلب الأعداد الغفيرة من بدو الغرب الأشداء فينشط بهم جيشه ويتخذ من صفوفهم حرسه الخاص، وبالتدريج أصبح الجيش المصري مع نهاية الأسرة العشرين في اغلبه يتألف من جند المرتزقة ذوي العناصر الليبية، وقد استقر هؤلاء في واحات الصحراء الغربية خاصة الداخلية والبحرية فضلا عن الوادي نفسه، كما استقرت جماعات منهم في اهناسيا، وتمركز بعضهم في "تل بسطة" وهكذا اخذ هؤلاء ينشئون في وادي النيل جاليات عسكرية يرأس كلا منها زعيم ليبي يحمل لقب كبير الـــ "ما" أي زعيم الماشواش، ويبدو ان هذه الجاليات ق احتفظت بليبيتها عبر الأجيال ومع ذلك فان هذه العناصر الليبية قد تشربت مقومات الحضارة المصرية واندمجت في ثقافتها، وساعد انحطاط السلطة المركزية في مصر هؤلاء الزعماء الليبيين على تأسيس اسر حاكمة حقيقية داخل مصر، وانتهى الأمر بأحد زعماء الأسر الليبية التي نزحت إلى الفيوم بان اعتلى عرش الفراعنة ونعني به "شاشانق" مؤسس الأسرة الثانية والعشرين.[107]

107- Cerny, C.A.H, PP. 16-619, Gardiner, A.E.O. I, 120* Kitchen, Third Intemediate, PP. 105-108.

عبد العزيز صالح: مصر والعراق، ص. 280، محمد الطاهر الجراري: "شيشنق وتكوين الأسرة الثانية والعشرين في مصر القديمة" مجلة البحوث التاريخية، جـــ 2، مركز الجهاد الليبي، 1981.